شاكر البدري



في مدرسة القرآن



هـذا كتـابُ اللهِ يَهـدي الى
سبيلِ حـقٍ بالهـدىٰ ساطع
مَن رامَ يسمو في مقامِ العلى
فذا دليـلُ الـرائد الطـائعِ

من

منشورات المعهد الاسلامي في الآصفية

بغـــداد

١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

مطبعة العاني - بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا
واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما

—

الأسراء
٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الواحد المعبود • العظيم المستعان المقصود • والصلاة والسلام على عبده المحمود • محمد وآله الركع السجود • واصحابه البررة الشهود ومن اقتفى أثرهم الى يوم الخلود ، وبعد : فقد سألني غير واحد من المتتبعين للتواليف التي كثرت فى العبادات الاسلامية ، وتعددت كراساتها ، ان اضع كراسا في معنى العبادات ، ومفهومها من الكتاب والسنة النبوية ، مع ما يرافقها من المعاني اللغوية حقيقة واصطلاحا ، لتصحيح المفاهيم التي شرّق بعضهم فيها ، وغرّب آخرون ، فاجبيت هذا الطلب الوجيه لعموم فائدته التي أرجو ان تكون خالصة لله تعالى ، ونافعة للذين يعشقون الحقيقة ، ويوآزرون المحققين ، فاستنخرت الله سبحانه وبادرت الى ما طلبه الواعون ، واراده المحبون ، مستعينا بالله عز وجل ، ومستقيا من ينابيع كتاب الله ، وهدى نبيه ، ولغة العرب ، والمأثور من اقوال الراسخين في العلم ، ومستنبطاتهم الاجتهادية ، وتحقيقاتهم العلمية ، مما فيه المنفعة العامة التي دعا اليها الاسلام ، وحضّ عليها رسول الأنام ، ونحا سبيلها السابقون الاولون ، وتبعهم اللاحقون ، الذين يقولو ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك انت رؤوف رحيم•

وسأتبع هذا المجمل انشاء الله بمفصل من فقه الادلة الشرعية ،للاركان الدينية ، التوحيد • الصلاة • الزكاة • الصوم • الحج • الجهاد ، بوجيز

القول غير المخل ، لتسهيل قراءته ، وتيسير فهمه ، وتعميم فائدته ، ولم آل جهدا في اخراجها بأسلوب مفهوم المعنى ، واضح القصد ، مبسط اللفظ ، قدر المستطاع ، لينتفع به الذين اخلصوا دينهم لله ، وارخصوا نفوسهم فى سبيل الله ، الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، اولئك الذين هداهم الله، واولئك هم اولوا ألالباب ٠

بغداد ٠ المنصور ٠ الرشيد

شاكر البدري

هٰـــذِهِ

هــذِهِ شمس السَّـعادَه ... مِــن رُبـاهــا مسـتعادَه
انْ اردتـم في سَـناها ... يَنجلـي لَيْلُ الأبــادَه
وَيُنيرُ الـكون صُـبحٌ ... مُظهـرٌ دَرْبَ السِّيـادَه
ويَـرى الناسُ هُداهُـمْ ... وَاضحـاً يُسـدِي رشادَه
وَيَمـدُّ الشَعْبُ كفّـاً ... معْلنـاً فيـهِ انقيـادَه
وَمُطيعـاً لنظـامٍ ... يرتجـي مِنْـه الأفـادَه
وَلِسـانُ الحَقِّ يعلـو ... صَـوتُهُ فيمـا أرادَه
أنـا مَـن سادَ بحـقٍ ... أنـا مَن نـالَ مُـرادَه
أنـا من امـةِ فِـذٍ ... أحكَمَ المَجْـدَ أشـادَه
وَسَـما في كلِّ صَـقْعٍ ... ناشـراً فيـهِ اعتقـادَه
[مُصْطَفى] في الكونِ بـدرٌ ... [احمـدٌ] ماضـي الارادَه
صَوْتُهُ في النـاسِ يعلـو ... بالتَراتيـلِ المُجـادَه

* * *

أنّـهُ للشّـعبِ نهـجٌ ... أيّـدَ الحـقُّ اجتهـادَه
وسَـبيلٌ مسـتقيمٌ ... جَعَـلَ العَدْلَ سَـدادَه
بِقـوى الايمـانِ يَسـمو ... بالهـدى يمحـو ارتدادَه

وَسلامٌ أحمديٌّ حقق اللهُ اِمتِدادَه
خطّهُ فذٌّ ابيٌّ عَبْقريٌّ في القيادَه
يُرهِقُ الاعداءَ سُخطاً يمنحُ الشَعْبَ وِدادَه
مَن بنى للمجد صَرْحاً بِالنهى وَالعلمِ شادَه
قادَ جَيْشاً مستفيقاً يَفدِي بالروحِ بِلادَه
بالفدى [للقُدسِ] يَعْدُو لِلوَغى يَبْغي الشَهادَه
بِالدِما يَغْسِلُ عاراً بِطلب اليوم حصادَه
مُؤمِناً بالنصرِ دَوْماً جَعَلَ الصَبْرَ عِتادَه
وَاثقاً باللهِ حَقّاً طالِباً مِنْهُ الزِيادَه
صارخاً في كلِّ نادِ شيدوا لِلنَصرِ عِمادَه
جَنِّدُوا كلَّ كَميٍّ صَيِّر العَزْمَ مِدادَه
وفَتىً شَهْماً هِزَبْراً في الوَغى يُوري زِنادَه
حازِماً كالليث يمشي عَنتَرياً في الإرادَه
أعلنَ الطاعةَ حُبّاً حَقّقَ الصِدقُ اِنقيادَه
وَلِسانُ الحالِ دَوّى بالأهازيج المُعادَه
غادَةٌ [الغربِ] تمنت دَولَةَ [الشرقِ] المُشادَه
وَابنتُ [الشرقِ] تهادَت بِحُلى الفَخرِ المُرادَه
عَدْلُه شَرقاً وغرباً سَنَّ بالحقِّ امتدادَه

بســلامٍ وأمــانٍ وَهــدىً عَمَّ وِهــادَه

* * *

اســألوا التاريــخَ عنّــي وَاســألوا اهــلَ الوِفــادَه

أنا يــومَ الحربِ فــذٌّ هاجــرٌ فيهــا رُقــادَه

انــا فــي الدنيــا هُــمامٌ سَــيّدٌ منــذ الــوِلادَه

أنــا في البَيْــدا شــجاعٌ لَم يَخُنْ فيهــا جَوادَه

أنــا فــي الســاسَةِ رأسٌ جَعَلَ الوعــيَ استِنــادَه

أنــا في القــادة ليــثٌ عــارفٌ نهــجَ القيــادَه

أنــا مِن رهــطٍ كِــرامٍ قــادةٍ في النــاسِ سادَه

أنــا مَن بز الاعـــادي أنــا مَن ألغــى حيــادَه

* * *

لَســتُ أرضَ وبــلادي [لِلصَهــاهينِ] مُقادَه

وَ [فلسطينُ] العَــوالي فــي شــجونٍ مُســتزادَه

يَنعُمُ الشُــذاذُ فيهــا وبَنوهــا في إبــادَه

[مَســجدُ الاقصى] المُفدّى مِــن لَظــاهم فــي زيادَه

صــوتُه يَعلــو حَزينــاً كلّمــا زادوا رمــادَه

وَالعــدوُّ الغُمــرُ قَسْــراً مَظهــرٌ فينــا عِنــادَه

أحرقَ [المَسْجِدَ] ظُلماً في احتيــالاتٍ مُــكادَه

* * *

كانَ بالأمسِ حقيراً يرتدي ثوبَ البلاده
ويريدُ اليومَ يعلو بالأكاذيبِ المُعاده
بدعاياتٍ ومكرٍ وحكاياتٍ مُزاده

* * *

هلْ على الارضِ مُظامٌ يخلعُ اليومَ حِداده
يحملُ الجورَ كئيباً مُعلناً فيه انقياده
يرتدي ثوبَ المآسي تخذ التشريد زاده
وهو يرضى بحياةٍ للتفاني مستقاده
كيفَ يرضى وهو ممنْ عرفَ الناسُ جهاده
من محيطِ الغرب حقاً لخليجِ الشرفِ قاده
من أعالي الرومِ غرباً لتخومِ الصينِ ساده

* * *

هذهِ نفثة صبٍ تبَّتَ اللهُ فؤاده
إن تسَلْ عنّي فأني أنا [بدريٌ] الولاده
ثقتي بالله ربي وبمن صانَ اعتقاده
أنا إنْ أحيا سعيداً أو أنلْ عزَّ الشهاده
فحياتي ومماتي لبلادي مُستعاده
ونِدائي الحرُ يعلو هذهِ شمسُ السعاده

بغداد شاكر البدرى

اللّٰهُ المعبود

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه

الاسراء : آية ٢٣

وجدت الاديان السماوية لتدل البشر على مظهرهم من العدم الى الوجود ، الذى اسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، وصورهم فأحسن صورهم، وجعلهم في أبدع تقويم ، ووهب لهم العقول ، واتبعها بالحواس الباطنة ، وخصها بهم ليميزوا النافع من الضار ، والخير من الشر ، والعلم من الجهل، والعدل من الظلم ، والحق من الباطل ، ومنحهم من الحواس الظاهرة ما يستطيعون بها تنفيذ ما يرشدهم اليه الدين ، ويدلهم عليه العقل السليم ، ـ وفي أنفسكم افلا تبصرون ـ .[1]

وسخر لهم ما فى الارض جميعا من النباتات ، والجمادات ،والحيوانات وعلمهم كيفية تسخيرها ، واستخدامها ، والاستفادة منها ما لم يعلموا لو لم يودع فيهم هذه الحواس ، ولما استطاعوا الوصول اليها بحال ـ فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ـ[2]

وجعل الارض طبقات اودع فيها ما بهر عقول نبهاء المنقبين ، وجعلها تقف خاضعة خاشعة لعظمة من اودع فيها هذه الاسرار الكونية التى كلما تقدم الفن وسما العلم ، واتسع الادراك والفهم ظهر له ما يشكل عليه حله ، ويعسر فهمه ، وفجر منها عيونا تتدفق بالماء العذب لذة للشاربين ، وجعلها

---

(١) الذاريات : آية ٢١
(٢) البقرة : آية ٦٤

انهارا تجري فى مسالكها لتسقي ما على ومن على ظهرها ماء غدقا ، ـ وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات ، وجعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل والنهار ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان ، وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، ـ[3]

واوجد بحارا تساق مياه الانهار منها واليها ، وخلق فيها من العجائب ما لا يقل عظمة عما فى اليابسة ان لم يكن اعظم ، ـ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ـ[4]

وزين السماء الدنيا بمصابيح متلألئة تهدي الساري الى الجهة التى ينشدها ـ وبالنجم هم يهتدون ـ[5] وجعل فيها الشمس سراجا وهاجا تستفيد من ضوءها ومن حرارتها واشعتها السابحات فى هذا الفضاء الكونى وما فيها ومن فيها ، وتعرف الجهات والاوقات بواسطتها ، وجعل القمر منيرا دياجير الطرق ، وحالكات السبل ، ومعرفا عدد الشهور والايام ، وجعل الليل سكنا يأوى فيه الناس الى منازلهم للراحة من تعب الحياة وجهادها ، والنهار معاشا يرتادون فيه ما قسم الله لهم من رزق ، وما قدر لهم من قضاء وقدر ، ـ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ـ[6] .

وجعل لهذه الاجرام السماوية من المخلوقات الكونية نظاما بديعاتسير

---

(٣) الرعد : آية ٣ـ٤
(٤) النحل : آية ١٤
(٥) النحل : ية ١٦
(٦) النحل : آية ١٢

عليه ، لا تتقدم على وقتها المحدد لها فى سيرها وشروقها وغروبها ولا تتاخر عنه لتدل على عظمة واضعه ، ومكانة منظمه ، وقدرة مشرعه ، وحكمة منفذه ، ولينتبه الناس الى هذا التنظيم المستقيم المحكم فينظموا اوقاتهم فى اعمالهم واتجاهاتهم اذا ارادوا دوامها فى نجاح مستمر ، وظفر مقيم ، ـ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون ـ[٧] .

واحاط هذا الفضاء الكوني باسرار عجز عن ادراكها حتى اليوم قادة الفكر ، ودهاقنة التفكير ، واساطين العلم القديم والحديث ، وبهر اولئك السابحين فيه للبحث عن حقيقة ما فيه من الاجرام القريبة الى ارضنا والبعيدة عنها ، بشتى وسائل البحث العلمي ، والانتاج الفكري العتيد ، باقمارهم الصناعية ، وقذائفهم النارية ، وصواريخهم الارضية ، وهو سبحانه ينادي فى كتابه الثقلين بانهم لا يستطيعون ولم يستطيعوا ان ينفذوا من اقطار السموات والارض الا بقوة العلم وسلطانه ، التى اودعها فى هذا العالم ، اذا شاء واراد بقوله تعالى ـ يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ـ واذا لم يرد ولم يشأ ـ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ـ[٨] .

ورتب الفصول ترتيبا متناسبا حسب ما تقتضيه حكمته فى سنن الحياة الكونية لتستفيد منها مخلوقاته ، خاصة البشر منهم ، وعقد سحبا فى اوقات احتياج النباتات الى السقاء الطبيعي ، ووكل سوقها الى الرياح بارادته ـ والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض

---

(٧) ياسين : آية ٣٨ـ٤٠
(٨) الرحمن : آية ٣٣ـ٣٥

بعد موتها(٩) .

فتخضر الارض كأنها سندس من استبرق ، وينمو الزرع زاهيـــا تتجاذب اطرافه الرياح فيتمايل طربا كمن نال بغيته وظفر بمنـاه ، وتتفجر الارض عيونا يتكون منها انهار تفيض على ما حولها بركة وخيرا بماءهـا النمير ، وتنتعش النفوس بما انعم الله عليها من العيش الرغيد ، ـ فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بان الله هو الحق ، وانه يحي الموتى ، وانه على كل شيء قدير ـ(١٠) .

واناط الدلالة على هذا كله بمن اختصهم الله لرسالته ، واصطفاهم من بين خلقه لهداية الانسان الى الصراط المستقيم ، صراط الذين انعـم عليهم بالايمان الراسخ ، والثبات الدائم ، والعمل الصالح ، والجهاد القويم ، ـ رسلا مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما ـ(١١) .

وقدر الحياة للبشر لكي ينالوا قسطهم منها ، وتظهر جبلتهم فيهـا واضحة جلية لامثالهم من المخلوقين بما يصدر منهم من عمل ، ويتضح من قول ، ويظهر من خلق كريم او لئيم ، ليتميز الخبيث من الطيب ، والصالح من الفاسد ، ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يـــره ـ(١٢) .

وكتب الموت عليهم لينالوا جزاء ما عملوا وجعله موعظة وذكرى للباقين الذاكرين ، وعبرة وانذارا للخائضين فى ضحضاح الاجرام ، ومســـيل

---

(٩) فاطر : آية ٩
(١٠) الحج : آية ٥ـ٦
(١١) النساء : ية ١٦٥
(١٢) الزلزلة : آية ٧ـ٨

الذنوب وحافزا منبها لاولئك الذين غرتهم الحياة الدنيا ، فاستحوذ عليهم الشيطان وانساهم ذكرى الله ، وصدهم عن التوبة مما اقترفوا ، والرجعة عما اجترحوا من السيئات ، وسولت لهم انفسهم حب التحلل وزينت لهم ، ما نهاهم عنه ـ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور ـ[١٣] .

وجعل باب التوبة مفتوحا على مصراعيه ، يرحب بالآمين اليه ، والمقبلين عليه ، ـ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ـ[١٤] حتى اذا ما رجع عنها مقترفوها رجوعا حقا ، وتابوا توبة نصوحا ، عن عقيدة وايمان ، واقاموا عليها صالحين تائبين غفرت ذنوبهم ، وقبلت توبتهم ، ـ والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم ، وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين ـ[١٥] .

وكل هذه النعم العظيمة التى لا يحصيها عدّ ، ولا يحصرها حساب ، ـ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ـ[١٦] موجبة لتعظيم المنعم بها وشكره بالعبادة الخالصة المستوحاة من الايمان الراسخ ، والعقيدة الكاملة التى لم يمسها سوء ـ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ـ[١٧] .

---

(١٣) الملك : آية ٣
(١٤) الشورى : آية ٢٥
(١٥) آل عمران : آية ١٣٦
(١٦) ابراهيم : آية ٣٤ والنحل : آية ١٨
(١٧) البينة : آية ٥

العِبادةُ والعِباد

العبد : هو الانسان حرا كان او رقيقا باعتبار ان لفظ العبد اذا اطلق انصرف الى من يعبد الله تعالى ، ويوحده ، ثم استعمل لغيره مجازا قال سيبويه : هو فى الاصل صفة قالوا رجل عبد ، ولكنه استعمل استعمال الاسماء ، والجمع اعبد ، وعبيد ، وعِباد ، وعبّاد ، وعُبُد وعِبدان ، وعُبدان ، بكسر العين وضمها ، وعَبَدَة ، قال الأزهرى : اجمع العامة على تفرقة ما بين عباد الله والمماليك فقالوا : هذا عبد من عباد الله ، وهؤلاء مماليك ، ولا يقال عبد يعبد عبادة الا لمن يعبد الله تعالى ، اقول : ولا يعكر هذا الصفو ما جاء فى كتاب الله تعالى من لفظ العبادة ومشتقاتها لغير الله ، فانه مجاز لاحقيقة على مامر تبيانه ، كقوله تعالى :ـ قال أتعبدون ما تنحتون، والله خلقكم وما تعملون ـ[18] وقوله سبحانه : ـ ان الذين تعبدون من دون الله عباد امثالكم ـ[19] .

والعبادة لغة الطاعة مع الخضوع ، والعابد المطيع الخاضع ، قال ابن الانبارى ، العابد هو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره ، والمتعبد المنفرد بالعبادة ، والمعبد مكان العبادة[20] ، والمعبّد يطلق ويراد به المكرم المعظم ، قال حاتم الطائي :

تقول الا تبقى عليك فانني   ارى المال عند الممسكين معبّدا

اي معظماً مخدوما ، ويطلق ويراد به الطريق المسلوك المذلل ،قال الازهرى : والمعبّد الطريق الموطوء ، ويقال للبعير المطلي بالقطران ، وللسفينة المطلية

---

(١٨) الصافات : آية ٩٥ـ٩٦

(١٩) الاعراف : آية ١٩٣

(٢٠) أنظر كتابنا دليل العابد الى نظام المعابد ص ١٠ وما بعدها .

بالقير او بالشحم والدهن ، وله معان اخرى اسهب فيها اللغويون ، فليرجع اليها من اراد اكثر مما اوردناه .

هذا ملخص ما قاله وحدده أهل اللغة فى تراثهم العلمي اللغوى الذي حظى به الباحثون ، عرضناه عرضا موجزا توخيا للفائدة التى هى القصد من تدوين المعارف والعلوم ، وهذا ما قاله مفسر بارع من رجالات التفسير العارفين، فى قوله تعالى ـ اياك نعبد واياك نستعين ـ [تدل الاساليب الصحيحة، والاستعمال العربي الصراح على ان العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ناشيء عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأها واعتقاده بسلطة له ولا يدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه منها انها محيطة به ، ولكنها فوق ادراكه ، فمن ينتهي الى اقصى الذل لملك من الملوك لا يقال انه عبده ، وان قبّل مواطىء اقدامه ، ما دام سبب الذل والخضوع معروفا وهو الخوف من ظلمه المعهود ، او الرجاء بكرمه المحدود ، اللهم الا بالنسبة للذين يعتقدون ان الملك قوة غيبية سماوية افيضت على الملوك من الملأ الاعلى ، واختارتهم للاستعلاء على سائر اهل الدنيا لانهم اطيب الناس عنصرا، واكرمهم جوهرا ، وهؤلاء هم الذين انتهى بهم هذا الاعتقاد الى الكفر والالحاد ، فاتخذوا الملوك آلهة وارباباً وعبدوهم عبادة حقيقية .

وللعبادة صور كثيرة فى كل دين من الاديان شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور بالسلطان الالهي الاعلى الذى هو روح العبادة وسرها ولكل عبادة من العبادات الصحيحة اثر فى تقويم اخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه ، والاثر انما يكون عن ذلك الروح والشعور الذى قلنا انه منشأ التعظيم والخضوع ، فاذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة كما ان صورة الانسان وتمثاله ليس انسانا[٢١] .

---

(٢١) تفسير الفاتحة للشيخ محمد عبده بقلم محمد رشيد رضا ، ص ٤٠ـ٤١ .

اقول : وهذه هي حقيقة العبادة التى جاء بها الاسلام ودعا اليهــــا المسلمون وطفح القرآن بذكرها والدعوة اليها فى اكثر من (٢٦٦) آية من آياته ، ومن وراءه السنــة النبوية على ما سيتضح ممــا هو آت ان شاء الله ، وحكمة العبادة على هذا النحو الذى جاءت به الرسل الكرام تذكر الانسان بعظمة الله تعالى وجلال قدرته ، ليشكره بعبادته فيما امر بالتعبد به رجاء رحمته التى وسعت كل شيء لئلا يطمس حب اللهو والانهماك بالمعاصى على بصائر القلوب فتصرف الجوارح عن العمــل فيما خلقت له وتصــد عن سلوك السبيل الذى وجهها اليه ، وامرها بالسير عليه ، ـ فانها لا تعمــى الابصار ـ ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ـ[٢٢] وتهوى بها فى لجج الضــلال ومهاوى الأجرام ، ويستحوذ عليه الشيطان ويزين له الاستخفاف بحقوق اخوانه فى الانسانية والاسلامية ، بعد ان زين له العدول عن عبادة الله تعالى ، فتنحل اواصر الالفة والمحبة بين الناس ، وتنفصم عرى الروابط الانسانية التى جاء بها كل نبي ورسول ، ودعوا اليها العالم كله بدعوة الله سبحانه ـ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ـ ويعرفوني ويوحدوني فلا يظلم بعضهم بعضا فيما اوجبت العدل فيه ـ ما اريد منهم من رزق ، وما اريد ان يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ـ[٢٣]

جلالُك يا قدوس ليس له حدٌ	كذاك صفات الله ليس لها عدٌ
تعاليت عن شبه الخليقة كلهــا	ومن وصف علياك الطهاة والمجدُ
قضاؤك محتــوم وامرك نافــذ	وما شئت من شيء فليس له ردٌ
لك المثــل الاعلى وكلٌ معبـــد	كفاه اعتزازا أن يُقال هو العبدُ

---

(٢٢) الحج : آية : ٤٦

(٢٣) الذاريات : آية ٥٦ـ٥٧

حقيقة العبادات وانواعها

حقيقة العبادة فى الاسلام الخضوع والامتثال لاوامر الله تعالى ، وقد تطلق ويراد بها الطاعة ، ومنه قوله ـ ان لا تعبدوا الشيطان ـ[٢٤] أي لا تطيعوه فيما يوسوس فى صدوركم من امر ويزين لانفسكم من عمل [انه لكم عدو مبين ـ ظاهر العداوة وتطلق ويراد بها الدعاء وعليه قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي ـ اى عن دعائي بكشف الضر ، وجلب النفع ، وذلك لما انطبعت عليه انفسهم من كبرياء وانانية وجحود ، ـ سيدخلون جهنم داخرين[٢٥] ـ وكل هذه الأطلاقات وامثالها راجعة الى الخضوع والامتثال ومتفرعة منها •

هذا : وقد ذكر الاستاذ ابو على الدقاق ان العبودية اتم من العبادة ، فأولا عبادة ثم عبودية ثم عبودة ، فالعبادة لعامة المؤمنين ، والعبودية لخواصهم ، والعبودة لخواص خواصهم اقول : وايضاح هذا ، ان الانسان اما ان يعبد الله تعالى رغبة فى ثوابه ، او رهبة من عقابه ، وهذه مرتبة نازلة عند اهل الله سبحانه ، وتسمى عبادة ، واما ان يعبد الله تعالى تشرفا بعبادته ، او بالانتساب اليه وقبول تكاليفه ، وخدمته ، وهذه درجة متوسطة وتسمى عبودية واما ان يعبد الله تعالى لاستحقاقه الذاتى لا لعلة وغاية ومن غير نظر الى نفسه بوجه من الوجوه ، ولا يقتضيه الا الذلة والخضوع لله وحده ، وهذه اعلى الدرجات وتسمى بالعبودة •

هذا : ومن اطلع على اصطلاح كل جماعة من اهل العلوم النقلية

---

(٢٤) يسن : آية ٦٠

(٢٥) غافر : آية ٦٠

والعقلية ، وما يدل عليه ، ويشير اليه ، وعرف ان الاصطلاح اجتماع طائفة مخصوصة على أمر معهود بينهم متى اطلق انصرف اليه ، لا يسعه الا ان يسلم بما ذهب اليه ـ القوم ـ من التعريفات التى اصطلحوا عليها ، وهو يقول :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه

ولا شيء اشرف من العبودية لله تعالى فانها لبمقام عظيم ، ومن انتسب اليها انتسب الى فخر قويم ، وعز مقيم ، لذا وصف بها اشرف خلق الله واعلاهم منزلة ، وارفعهم مكانة ، محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه ، حيث قال تعالى ـ سبحان الذى اسرى بعبده ـ[٢٦] ، ـ فاوحى الى عبده ـ[٢٧] ، ـ تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ـ[٢٨] ، ـ الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ـ[٢٩] والمراد فى كل هذه الآيات البينات سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، على ما هو ظاهر من السياق كما انه سبحانه لقب بهذه الصفة اكابر الانبياء والمرسلين فقال تعالى [ـ واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدى والابصار ـ[٣٠] ، ـ واذكر عبدنا داود ذا الايدي انه اواب[٣١] ـ ، واذكر عبدنا ايوب ـ[٣٢] ، كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ـ[٣٣] ، ـ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه

---

(٢٦) الاسراء : آية ١
(٢٧) النجم : آية ١٠
(٢٨) الفرقان : آية ١
(٢٩) الكهف : آية ١
(٣٠) ص : آية ٤٥
(٣١) ص : آية ١٧
(٣٢) ص : آية ٤١
(٣٣) النجم : آية ٩

اواب ـ[٣٤] ، ـ ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ـ[٣٥] ـ فى عيسى ابن مريم واول كلمة فاه بها عليه السلام ان قال ـ اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ـ[٣٦] • وفى هذا المعنى من العبودية قال الشاعر العاشق :

يا قومُ قلبي عبد زهراءِ يعرفه السامع والرائي

لا تدعني الابيا عبدهــا فانه اشــرف اسمائي

وليست العبادة مقتصرة على نوع واحد كالصلاة مثلا فان الصــلاة عبادة ، والصوم عبادة ، والجهاد عبادة ، وذكر الله عبادة ، وتلاوة القرآن عبادة ، ، والصدقة وصون اللسان عن اللغو والخوض فيما نهى الله عنــه عبادة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر عبادة ، وكل دعوة الى الامر بالعمل الصالح ، والنهى عن غيره عبادة ، وذلك لئلا يمل الانسان اذا استمر على القيام بنوع واحد من الواجبات الملقاة على عاتقه ، ولئلا يحرم الاجر الذى قدر لأشرف عمل يقوم به الانسان ، وينتسب اليه تجاه الله تعالى :

تبارك من فخري باني له عبدُ وسبحانه سبحانه وله الحمدُ

ولا ملك الا ملكه عز وجهــه هو القبل في سلطانه وهو البعدُ

* * *

---

(٣٤) ص : آية ٣٠
(٣٥) الزخرف : آية ٥٩
(٣٦) مريم : آية ٣٠

الدعوة الى العبادة

الانسان من حيث هو مولود على فطرة العبادة لله تعالى ، والخضوع لاوامره ونواهيه ، غير انه اذا نشأ بين من استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله ، ورماهم فى مهاوى الضلال ، تخلق باخلاقهم ونشأ على ما هم عليه ، يؤيد هذا بعد آيات اشارت اليه ، قوله صلوات الله وسلامه عليه ، ـ كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه ، او ينصرانه ، او يمجسانه ـ رواه الطبرانى فى الكبير ، والبيهقي فى السنن عن الاسود بن سريع وله صحبة ، وكان شاعر بني منقذ ، وقال فى اللسان ، وهذا له اسانيد جياد ، ورمز له السيوطي بالصحة ، اقول : ورواه البخارى بلفظ ، ـ كل مولود يولد على الفطرة ، فابواه يهودانه ، او ينصرانه او يمجسانه ، كمثل البهيمة هل ترى فيها من جدعاء ـ ، ورواه مسلم بلفظ ـ كل انسان تلده امه على الفطرة فابواه يهودانه ، او ينصرانه او يمجسانه ، الحديث وكل هذه الروايات متحدة اللفظ مع زيادة فى التوضيح بسيطة ، لا تخرج عن المعنى المراد منها ، والفطرة : الخلقة التى خلق الله الناس عليها لقبول دعوة الله الداعية الى عبادته والانقياد الى اوامره ونواهيه ، قال تعالى ـ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون ـ[٣٧] .

لذا جاءت الرسل الكرام بدعوة الناس الى عبادة الله وتذكيرهم بما فطرهم الله عليه فاجابهم الواعون الذين تبين لهم الحق فاتبعوه ، وصدعتهم

---

(٣٧) الروم : آية ٣٠

الذين عميت قلوبهم عن فهم دعوتهم ، وما ترمي اليه ، فأقاموا على ما نهوا عنه ، حتى اذا ما حق عليهم القول ، قالوا ما حكاه الله عنهم ـ وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ، فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ـ[38] فقال تعالى [ـ أنا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم قال يا قومي اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون ، يغفر لكم ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ، ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ـ[39] ، ـ وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ، ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ، اليه ترجعون ـ[40] ، ـ والى مدين اخاهم شعيبا قال : يا قومي اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فافوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ، ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ـ[41] ، ـ والى عاد اخاهم هودا قال : يا قومى اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون ـ[42] والى ثمود اخاهم صالحا قال : يا قومي اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ، ان ربي قريب مجيب ـ[43] ، ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذين تختلفون فيه ، فاتقوا الله واطيعوني ، ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم[44] .

---

(٣٨) الملك : آية ١٠ـ١١

(٣٩) نوح : آية ١ـ٤

(٤٠) العنكبوت : آية ١٦ـ١٧

(٤١) الاعراف : آية ٨٥

(٤٢) هود : آية ٥٠

(٤٣) هود : آية ٦١

(٤٤) الزخرف : آية ٦٣

هذا غيض من فيض القرآن العظيم الذى دعا العالم الى عبادة الله ، وقص عليهم اقوال من ارسلوا اليهم ليشهدوا لمن اجاب دعوتهم ، ويشهدوا على من لم يجبها يوم هم بارزون لا تخفى منهم خافية ، ولئلا تؤول دعوة الرسل الى غير ما جاءت به ، دعاهم سبحانه اليها لئلا تبقى حجـة لمحتج ، حيث يقول عز وجل [ـ يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فأياي فاعبدون ـ[٤٥] ـ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ـ[٤٦] ، ـ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ـ[٤٧] ، ـ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ـ[٤٨] . ـ يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ـ[٤٩] .

والسنة النبوية بعد آيات الكتاب المبين دعت الى العبادة واعلنت عما ينتظر العابد الصالح من خير كثير ليتحد الوحي الجلي مع الوحي الخفى فيما جاء به الاسلام العظيم الى العالم الانسانى فقال صلى الله عليه وسلم ـ سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله ، امام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ـ الحديث رواه البخارى ومسلم والامام احمد والنسائي ، ورواه مالك فى الموطأ عن ابي سعيد الخدرى وفى الباب احاديث اخرى تدعو الى ما دعى اليه القرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

غرست هذه الدعوة الخالصة فى قلوب المؤمنين والمؤمنات وانبتت نباتا حسنا سقي بماء الاخلاص المتدفق من ينابيع الحكمة والموعظة الحسنة حتى

---

(٤٥) العنكبوت : آية ٥٦
(٤٦) البينة : آية ٥
(٤٧) الحجر : آية ٩٩
(٤٨) النساء : آية ٣٦
(٤٩) البقرة : آية ٣١

اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيـج تتمايل اغصـانها وتتجاذبهـا رياح الشوق ، ونسمات الحب لنيل مقامها الاعلى ، ومكانتها العليا ، وتبوأ مقعد الصدق عند مليك مقتدر ، بعد ان تنسموا عبيرها ، وذاقوا ثمارها ، فباعوا انفسهم فى سبيلها ، فارين الى مولاهم الحق حتى وصلوا الى باب سيدهـم طائعين مذعنين ، فنالوا رحمته ، واكتسبوا رضاه ، وهم فى جنان الخلد ، ونعيم الحياة ، خالدون ، لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون .

نشأ رجال مؤمنون ونساء عابدات قانتات وصلوا الى الغاية المنشودة فى عباداتهم الخالصة لله والمحضة له ، ففاضت قلوبهم بما عبرت به السنتهم مما دوّنت كتب القوم الذين سبروا غورها ، وحصلوا على دررها شعرا ونثرا ، كالامام السجاد ، والباقر ، والصادق ، والكاظم ، والرضا ، والهادى ، والكيلاني ، والرفاعي ، والبسطامى ، والجنيد البغدادى ، والحارثـي ، والمحاسبي ، وذى النون المصري ،والكرخي ، والغزالي ، والحـافى ، والسهروردى ، وابن الفارض ، وفاطمة النبوية ، ورابعة العدوية ، وامثالهم من النساء والرجال الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ، جزاء بما كانوا يعملون . وقالوا

إنَّ للهِ عباداً فطنـــا	طلَّقوا الدنيا وَخافوا الفِتَنـا
نظروا فيهـا فلما علموا	أنّها لَيسَت لحيٍ وَطَنـــا
حسبوها لجةً واتخذوا	صالحَ الاعمالِ فيها سُفُنـا

* * *

هذا : وقد اشاد غير واحد من محققي الشرقيين والغربيين بذكرالعبادة التى دعا اليها الاسلام ونهج سبيلها المسلمون ، وملأوا صحائف كتبهـم

بما املته عليهم بنات افكارهم وسطرته انامل ايديهم ، بعد تحقيق وتمحيص ، ومن هؤلاء واولئك الكثيرين : الاستاذ البحاثة [سنكس] فانه بعد ان اشاد بذكر العقيدة الاسلامية ، وعظمتها ، ومكانتها بين العقائد الاخرى ، قال :ـ وهذه العقيدة هى الوازع الاقوى فى محاولات الانسان المادية والى الاخبات لأله واحد يستطيع ان يعبده بنفسه ، وبدون مداخلة احد بينه وبينه ، وان يرتقي فى مصاعد كرامته الى مراقي الانوار بدون وساطة الوسطاء ، ولا شفاعة الشافعين من بني جنسه .

ولقد توصل محمد بمحوه كل صورة فى المعابد وابطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق الى تخليص الفكر الانسانى من عقيدة التجسيد الغليظ التى كانت من لوازم العقل البشري فى القرون الخالية ، واجبر النـــوع الانسانى بتأثير هذه التعاليم لان يرجع الى نفسه ، ويبحث عن الله خالقـه فى اعماق روحه ، وصميم سره ، ليستطيـع ان يرتفع بهذه العقيـدة النقيـة اليه تعالى بواسطة العبادة القلبية المملوءة احتراما وشكرا ومحبة ، ولقد قصر الناس فى الالتفات الى ذلك الرقي الادبي الساحر الذى تم بواسطة الديانة الاسلامية ، ـ ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون ـ(٥٠)

* * *

(٥٠) الانبياء : آية ٩٢



في اخلاقهم

وعباد الرحمن الـذين يمشون على
الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما ٠

الفرقان : ٦٤

حرصت مدرسة التشريع الاسلامي على ان تخرج عباد الرحمـن الصالحين فى حلل مكارم الاخلاق ، ومحاسن الصفات ، وتزودهم بالباقيات الصالحات ، وجعلت ذلك من طلائع برامجها التدريسية ، ومن اول ما يلقى على تلامذتها بعد الايمان ، ليعلموا ان العبادة لها شروط لا تصح الا بها ، واركان لا تقبل الا عليها ، ومن ابرز هذه الشروط ـ الاخلاق الصالحة ـ التى يمتاز بها المؤمنون والمؤمنات عن غيرهم ، وينالون قصب السبق فـى ميدان الحياة الاجتماعية التى سداها محاسن الاخلاق ، ولحمتها العمـل الصالح فى جميع ادوار الحياة الدراسية والعملية ٠

ومن لم يتخذ الاخلاق الصالحة قرينا له ، محي اسمه من سـجل المصطفين الاخيار ، وسجل مع الشقاة الاشرار ، الذين اعلن الاسلام عـن قرينهم وبين عاقبة ذلك الاقتران حيث يقول تعالى ـ ومن يعش عن ذكر

الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ، حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ـ[٥١] وقوله سبحانه ـ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ـ[٥٢] .

ففي الآية الاولى نص عز وجل على ان من يعرض عن ذكر الرحمن فيما يقوله ويفعله ويتجه اليه ، يُسلط عليه شيطان يزين له المعاصي ، ولا يفارقه ما دام بعيدا عن ذكر الله تعالى قلبه ولسانه ، وأكد تعالى بان الشياطين يصدون الناس عن الطريق الذى يوصلم الى النجاة ، والذين استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله تعالى يحسبون ويظنون أنهم مهتدون بما يزين لهم من اعمال ، ويسول من اقوال ، حتى اذا جاءوا الى مولاهم الحق ، ورأوا عقاب ما حذرهم الرسل منه ، ونهوهم عنه ، تمنى كل واحد منهم ان يكون بينه وبين الذى اغواه وانساه ما بين المشرقين من البعد فلا يلقاه ولا يتلقاه : وقالوا

اِذا كنتَ في قومٍ فصاحب خيارهم ولاتصحب الاردى فتردى مع الردي

عن المرءِ لا تسلْ وسلْ عن قرينهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدي

والصلاة التى فرضها الله على عباده لا تنفع صاحبها اذا لم يعتصم بحبل الفضيلة الخلقية ، ويصرم حبل الرذيلة السيئة على ما يتضح من قوله تعالى ـ واقم الصلاة : ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ـ[٥٣] حيث اكدت هذه الآية الكريمة ان الصلاة التى هى عماد الدين ، ورمز العباد الصالحين تنهى

---

(٥١) الزخرف : آية ٣٦ـ٣٨
(٥٢) النساء : آية ٣٨
(٥٣) العنكبوت : آية ٤٥

صاحبها عن التخلق بما نزه الله المؤمنين عنه ، ليعلم الذين يبتغون الفضيلة ، بان الصلاة لا تجتمع مع ما نهى الله عنه ورسوله وصالحو المؤمنين في حيز واحد ، وشتان ما بين فضيلة الصلاة ، ورذيلة الفحشاء والمنكر ، وكذلك بقية العبادات لا تجتمع مع مساوىء الاخلاق لوحدة مفهوم العبادة في كل ، ومن وراء هذا جاءت السنة النبوية تعلن هذا التأكيد بان الصلاة اذا لم ينته صاحبها عما نهت عنه فهو المبعد عن رحمة الله ورضاه حيث يقول صلوات الله وسلامه عليه ـ من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا ـ[٥٤] لهذا وذاك ، فصل التشريع الاسلامي اخلاق عباد الرحمن تفصيلا يفرق بين الذين يخلص في عبادته ، والذى يرائي فيها ، ليتبين من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمئن به ، وان اصابته فتنة انقلب على عقبه خسر الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين ، ممن يعبد الله مخلصا له الدين ، لا يتأثر بامواج الالحاد ، ولا يتزعزع بعواصف البطلان ، ولم يخش احدا الا الله تعالى ، فذالك الذى دخل في زمرة عباد الرحمن الصالحين الذين صدق عليهم قوله سبحانه ـ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ـ[٥٥] .

هذه الآية الكريمة اولى آيات صفات عباد الله الصالحين من سورة الفرقان اعلنت بوضوح عن عباد الرحمن الذين فقهوا مفهوم العبادة الخالصة لله تعالى وما تدعوهم اليه ، وتدلهم عليه ، اذا ما مشى احدهم على الارض مشى بالسكينة والوقار ، اذ بالسكينة يظهر التواضع الدال على دماثة الخلق، ومتانة الادب ، وفهم الحياة ، وعفة النفس ، ومدى ادراكها لمعنى السلوك الانساني المتين ، ومفهومه في نظم الاجتماع ، وقوانين الدين ، ووعى مسؤولية الفرد والمجتمع في الحياة العامة والخاصة ، وما فيها من سعادة أو

---

(٥٤) رواه الطبراني عن ابن عباس .
(٥٥) الفرقان : آية ٦٣

شقاء ، امتثالا لقوله تعالى ـ ولا تمشـــي فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ـ(٥٦) ولقوله صلى الله عليه وسلم ـ ان الله اوحى اليّ ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ، ولا يبغي احد على احد ـ(٥٧) وانشدوا :

تواضعْ اذا ما نلتَ مِن القومِ رفعةً

فانّ رفيـــعَ القـــومِ مَن يتواضـــعُ

وبالوقار تظهر العزة التى كتبهـــا الله للمؤمنين والمؤمنات اينما كانوا وحيثما وجدوا بقوله تعالى ـ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ـ(٥٨) وهذه الآية نص محكم على ان العزة كائنة لله فى ملكوتـــه ومخلوقاته ، ولرسوله فى دعوته وتوجيهه ، وللمؤمنين فى سمعهم وطاعتهم واخلاقهم ، كما نفت العلم عن المنافقين مخافة ان يجرأ احـدهم على التأويل الذى لم يرده الله فى نصه الداعي الى التواضع والسكينة والوقار ، ولئلا يصع الذين فى قلوبهم مرض مفهوم التواضع فيما لم يتفق وعزة المؤمنين التى نص الله عليها ، وليعلموا ان الذلة والمسكنة ليستا من صفات عباد الله الصـــالحين ، لذا اردف هذه الصفة الخلقية السامية بقوله سبحانه ـ واذا خاطبهم الجاهلون ـ الذين لم يفقهوا معنى الاخلاق الفاضلة ، ولم يتذوقوا طعم الادب الرفيع ، ولم يرتووامن شراب الثقافة النفسية الرزينة ، فاصبحوا فى عداد ســـفهاء الاحلام ، ومبتذلي الكلام ، بما جبلوا عليه من مساوىء الصفات ، وقبائـــح العادات التى نزه الله المؤمنين والمؤمنات عن الاصغاء اليها ، والرد عليهـــ ، تحقيرا لشأن المتخلقين بهاء ، وترفيعا لنفوسهم عن ان تكون مثلهم فى الجهل

---

(٥٦) الاسراء : ٣٧ـ٣٨

(٥٧) رواه مسلم

(٥٨) المنافقون : آية ٨

والسفة والضعة ، وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم ـ ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شيء ، وان احسن الناس اسلاما احسنهم خلقا ـ(٥٩) وانشـــدوا :

اذا نطقَ السفيهُ فلا تجبْــهُ فخيرٌ من اجابتــه السـكوتُ
اذا كلمتـــه فرجــت عنـــه وان خليتــه كمــداً يموتُ

★ ★ ★

اذا فاه السفيـــه بسب عرضي فاكرَهُ أن اكون له مجيبــا
يزيدُ سفاهةً وازيد حلمـــاً كعودٍ زاده الأحراقُ طيبـــا

★ ★ ★

[قالوا سلاما] سدادا من القول ليسلموا مما ابتلي به الجاهلون من نتائج ما هم مقيمون عليه من ساقط القول ، ورذيل الكلام ، فارداهم جهلهم فى الدرك الاسفل من التقهقر الخلقي ، وضعة النفس فى الدنيـا ولهم فى الآخرة عذاب النار ولذا ذكر الجهل وحذر منه ومن الجاهلين فى [٢٤] آية من القرآن الكريم وقالوا :

وفي الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهلِه
واجســامُهم قَبْــلَ القبــورِ قبور

★ ★ ★

اذا ما الجهــلُ خيَّمَ فــي بــلادٍ
رأيتَ اسودَهــا مُســخت قُرودا

---

(٥٩) رواه الامام أحمد .



في عباداتهم

[والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما]

الفرقان

تلك حالة عباد الرحمن فى اخلاقهم ، اما عبادتهم فقد وصفهم الله بأنهم الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، فلا ينامون عن اداء ما فرض الله عليهم من عبادة ، بل يبيتون على حال اكملوا فيه سجودهم ، وقيامهم له قانتين غير متثاقلين ولا متوانين ، لما فقهوا من آيات الله ، وسنن رسوله ، فى الدعوة الى الصلاة ، وبيان منافعها العامة والخاصة ، الدينية والدنيوية ، وعاقبة الساهين عنها ، والمرائين فيها بيانا يدحض حجج الذين زاغت قلوبهم عن الحق ، فاتبعوا ما تشابه على الناس بيانه ومعناه ، فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ، ومن استعرض الآيات القرآنية الداعية الى الصلاة تبين له اهتمام الاسلام العظيم بها ، وانها جاءت فى [٩٦] آية وسبب هذا الاهتمام الكبير فى الوعد لمقيمها ، والوعيد لتاركها ، هذا بعض منها تبصرة وذكرى لكل عبد منيب .

قال سبحانه ـ قُلْ لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة ـ(٦٠) أمر تعالى عباده المؤمنين باقامة الصلاة على سبيل العموم ومثله مفيد للوجوب ، ويقول عز وجل على سبيل الخصوص ـ اقم الصلاة ـ وعلى الخصوص العائلي

(٦٠) ابراهيم : ١٤ ـ آية ٣١

ـ وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ، ـ[٦١] يأمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بان يأمر أهله المسؤول عن رعايتهم في اقامة الصلاة ، والصبر على الدعوة اليها، والحض عليها ، ليعلم كل مؤمن ومؤمنة انهما مأموران بالدعوة الى الصلاة والصبر عليها اقتداء برسول الله حيث جعله الله خير قدوة ، واحسن اسوة في قوله تعالى ـ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، ـ[٦٢] .

ولم يقف الاسلام على هذا بل قص علينا حرص الرسل والانبياء على اقامتها والدعوة لها ، فقال عز وجل حكاية عن دعوة ابراهيم عليه السلام ـ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعاء ـ[٦٣] كما حقق فلاح المؤمنين والمؤمنات وبشرهم بالخلد في فردوسه اذا ما خشعوا في صلاتهم، وحافظوا على اقامتها بقوله تعالى ـ قد افلح المؤمنون الذينهم في صلاتهم خاشعون ـ الى قوله تعالى ـ والذينهم على صلواتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ـ[٦٤] .

وبعد هذا كله يوجه سحانه الخطاب بصيغة الامر الى جميع الناس بالمحافظة على الصلوات والقيام بادائها فيقول :ـ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ـ[٦٥] ويقول باداة التأكيد ـ فاقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ـ[٦٦] اى فرضا مؤقتا بأوقاتها الخمسة وضحها الهدى النبوى . الصبح . الظهر . العصر . المغرب . العشاء ، بقوله صلى الله عليه وسلم ـ خمس صلوات افترضهن الله عز وجل من احسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن ، واتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن

---

(٦١) طه : ٢٠ ـ آية ١٣٢
(٦٢) الاحزاب : آية ٢١
(٦٣) ابراهيم : آية ٤٠
(٦٤) المؤمنون : آية ١ـ٩
(٦٥) البقرة : آية ٢٣٨
(٦٦) النساء : آية ١٠٣

كان له عهد على الله ان يغفر له _[٦٧] .

هذا : ولم يترك الاسلام عقاب تاركي الصلاة من غير عذر بل جعل دخولهم النار امرا مقضيا بما ذكر عز وجل من جوابهم لمن سألهم عن سبب دخولهم سقر ، وسقر علم لجنهم حيث يقول سبحانه _ ما سلككم فى سقر؟ قالوا : لم نك من المصلين _[٦٨] الآية _ اى الذين يقيمون الصلاة فى حياتهم الدنيا على ما ذهب اليه جمع من فطاحل المفسرين واكابرهم ، ولئلا يغتر اولئك الذين يتظاهرون باقامة الصلاة رياء اذا ما كانوا مع الناس ، ويسهون عنها اذا ما انغمروا فى الملاهى وهم فى معزل عن الناس بخلاء على المحتاجين بمنعهم المعونة عن اهلها بما استطاعوا اليه سبيلا ، حيث قال تعالى _ فويل للمصلين . الذينهم عن صلاتهم ساهون ، الذينهم يراؤون ، ويمنعون الماعون _[٦٩] والمراؤون هم المنافقون الذين اوضح صفتهم هذه القرآن العظيم بقوله تعالى _ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ، مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا _[٧٠] وبعد هذا ابان مصير المنافقين المرائين بقوله سبحانه _ ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا _[٧١] .

وبعد هذا كله بين الاسلام ما تدعو اليه الصلاة ليعلم الناس من هم الذين يصلون عن عقيدة وايمان ، ومن هم الذين يقمونها عن رياء

---

(٦٧) رواه أبو داود والنسائي .
(٦٨) المدثر : آية ٤٢_٤٣ .
(٦٩) الماعون : آية ٤_٧
(٧٠) النساء : آية ١٤٣
(٧١) النساء : آية ١٤٤
(٧٢) العنكبوت : آية ٤٥

أو عادة فى قوله تعالى ـ واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ـ[٧٣] ومفهوم المخالفة معتبر فى مثل هذا البيان الظاهر المراد ، اى اذا لم تنتهه لم تكن صلاة مقبولة ، ومن توغل فى مفهوم ما قلنا فى الصلاة ظهر له ان القيام بادائها ، والمحافظة على اوقاتها ، وحضور جماعاتها خير داع ، واحسن مشجع على القيام بالواجب الوطنى والاجتماعي اللذين بهما حياة الامة وامنها وانتعاش اقتصادياتها ، وآمن بأنهما فرعا ذلك الواجب الديني الذي باقامته تجتذ جذور الالحاد من اصولها ، ويقضي على المبادىء الهدامة لصروح الحق ، وحصون العدل ، قضاء لا قيامة لها بعده ، فيرتاح هذا العالم الانسانى من هذه الفتن التى يوقد نارها شياطين المبادىء الضالة وتتفتح ازهار الحياة الطيبة مرة اخرى باستنشاق نسيم الامن العام ، وارتشاف زلال الرخاء الشامل الذى اصبح حلما من احلام هذا الانسان التائه فى بيداء الجشع ، والمتخبط فى احراش التنافس على الاستعمار والاستعباد ، والغارق فى بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ، لا خلاص له منها ولا مناص الا باشراق شمس الدين فوق ربوع دنياه لتكتسح بنورها سحب الظلام ، وتنير سبيل السعادة الابدية عله يهرع اليها فينجو من ظلمات البأساء والضراء ، وينتصر على اعداءه حين البأس ، وهم من فزع يومئذ آمنون •

امعن النظر وانعمه ايها الصاد عن هذا السبيل القويم ، والصراط المستقيم ، فى حالك اليوم ومآلك بعد اليوم ، وعد الى النظر فى سجل الاجيال الماضية هل ترى للضالين من هاد الى ما فيه صلاحهم واصلاحهم الا الدين الذى ارتضاه الله لهم فأبى اكثر الناس الاكفورا ، ثم ارجع البصر كرتين الى حاضرك الحالك السبل لا من ناحية واحدة بل من نواح كثيرة متشعبة وانت فى سورة الالحاد تلاطمك امواج الانحدار تمد يدك الى من ينقذك مما انت

---

(٧٣) العنكبوت : آية ٤٥ •

فيه ، فلا من منقذ ولا من منجد ولا من معين ، ولسان حالك يقول :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

والمخلصون هنا وهناك ينادون ويصرخون ، من هنا الطريق • من هنا الطريق ، أيها المتخبطون في دياجير الظـــلام ، والحائرون في ضحاضح الاوهام ، لا يصلح امركم الا ما اصلحه اول مرة ، انه الاسلام العظيم ، الذى جعل الصلاة عموده ، ودعا اليها وجعلها من أول صفات عباد الله الصالحين، وجعل الجماعة فيها امرا مقضيا لنيل فوائدها ، واقتناص شـــواردها ، ونص على ان اداءها بجماعة كقيام الليل المفهوم من قوله ــ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ــ ولما روى مسلم عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، انه صلوات الله وسلامه عليه قال :ــ من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليله ــ ، اى من الاجر ، وهذا لما في الجماعة من نتائج محمودة العواقب قد لا يتوصل الفرد اليها بنفسه ، لـــذا رغب صلى الله عليه وسلم اليها بقوله ــ صلاة الجماعة افضل من صـــلاة الفذ ــ الفرد ــ بسبع وعشـــرين درجة ــ رواه البخارى ومسلم وجمـــع آخرون •

اقول : ومن رجال الاجتهاد من جعل الجماعة واجبة الحضور في الفروض على من لا عذر له لقوله تعالى ــ واقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واركعوا مع الراكعين ــ[٧٣] ولقوله صلى الله عليه وسلم ــ لينتهين رجـــال عن ترك الجماعة او لاحرقن بيوتهم ــ رواه ابن ماجه ، فهؤلاء الذين فقهوا هذا واقاموا الصلاة كما امروا ان يقيموهـــا ، وقد زينهم الخلق الحسن ، والعمل ، بزينة المقبولين الذين ــ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ــ •

---

(٧٣) البقرة : آية ٤٢



في دعائهم

والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقراً ومقاما .

* * *

هذه الصفة الثالثة من صفات عباد الرحمن الذين يرجون لقاء ربهم فيعملون لآخرتهم عمل من يخشى ان يموت غدا ، كما يعملون لدنياهم عمل من يظن انه يعيش ابدا ، ان يدعوا الله تعالى بقولهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، التى كشف القرآن العظيم الغطاء عن وجهها المكفهر ، ومسالكها المخيفة ، وشواظها الملتهب ، وعدد ما فيها من عقوبات صارمة تقشعر من هولها ابدان الذين يستمعون اخبارها ، ويعون عقابها ويفهمون ، هذه بعض اوصافها فى كتاب الله شاهد على ما نقول ، بعد ان جاء ذكرها فى [٧٧] آية .

قال سبحانه فى سورة الحجر ـ وان جهنم لموعدهم اجمعين ، لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ـ وفى سورة ياسين ـ هذه جهنم التى كنتم توعدون ، صلوها اليوم بما كنتم تكفرون ، اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وفى سورة عم يؤكد سبحانه هذا الجزاء الاليم ـ ان جهنم كانت مرصادا ، للطاغين مآبا ، لابثين

فيها احقــابا ، لا يذوقون فيها بردا ولا شــرابا ، الا حميما وغســاقا ، جزاء وفاقا ـ •

فكان لزاما على الذين يريدون ان يعيشوا فى مأمن من وخيم العاقبة ، ومنجاة من اليم العقاب ، فيتبؤا مقعد صدق ، ومكان عز ، عند مليك مقتدر ، ان يقيموا على ما امرهم الله به ، عاملين صالحين ، داعين الله تعالى ان يصرف عنهم عذاب جهنم التى كان عذابها غراما ملازما ملحا ومنه الغريم ، فانهــا ساءت مستقرا ومقاما لاولئك الذين فرطوا فى دنياهم فقيل لهم ذوقوا عـذاب الحريق ، لذا كان صلوات الله وسلامه عليه يكثر من قوله ـ اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ـ[٧٤] •

هذا دعاء النبي عليه الصلاة والسلام ، وذاك دعاء عباد الرحمن الذين دخل الايمان قلوبهم ، فعرفوا ما لهم وما عليهم ، فسألوا الله ان يصـرف عنهم عذاب جهنم الملازم لمن دخلها وكلما نضجت جلودهم ابدلوا جلودا غيرهــا ليذوقوا العذاب بما كانوا يكفرون ، وليعلم غيرهم ان طريق النجاة وسبيـل السلامة ، ما سلكه اولئك الذين عبدوا الله مخلصين له الدين حتى توفاهم الله عليه ، وقيل لهم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ، •

هذا : والدعاء طلب الخير من الله تعالى لجلب النفع ، ودفع الضــر ، والقرآن الكريم حصر طلب الدعاء من الله تعالى فقط ، وانه هو السـميع المجيب لقوله سبحانه ، ـ قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله ، او أتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين ، بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ، ان شاء وتنسون ما تشركون ـ[٧٥] حصر عز وجل رجاء المشركين بالله عند نزول البلاء ، ووقوع المحنة ، ونزول الكارثة ، فكيف بالمؤمنين الذينهم اولى

---

(٧٤) رواه مسلم عن أنس بن مالك •
(٧٥) الانعام ٦ : آية ٤٠ـ٤١ •

من غيرهم فى تخصيص الله تعالى بالدعاء دون غيره على ما يستفاد من تقديم المفعول ـ اياه ـ المفيد للحصر كقوله تعالى ـ اياك نعبد واياك نستعين ـ على ما مر بيانه ، والمعنى لا تدعون الا الله ، وفى سورة الاسراء ينص سبحانه على ان جميع من يدعون لكشف الضر عنهم ضل عن الاجابة الا الله تعالى المخصوص بالدعاء والاجابة حيث يقول تعالى ـ واذا مسكم الضر فى البحر ـ اى والبر اكتفاء كقوله تعالى ـ سرابيل تقيكم الحر ـ اى والبرد ـ ضل من تدعون الا اياه ـ والضمير هنا عائد حتما الى الله لا الى غيره ، ومن قرأ قوله تعالى [ادعوني استجب لكم ـ[76] ، ـ ادعوا ربكم تضرعا ـ[77] ، ـ ادعوا ربكم يخفف عنكم ـ[78] ، ـ فادعوا الله مخلصين له الدين ـ[79] ، تبين له ان الاسلام خص الدعاء بالله تعالى ولم يجعل لغيره نصيبا فيه ، بل حكم بضلال الذين يدعون غير الله فى قضاء حوائجهم ، ونص على ان الذى يكشف الضر ويجلب النفع هو الله وحده القائل ـ وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ـ[80] .

واما السنة النبوية فقد اتفقت مع القرآن فى هذا المفهوم وبينت اصول الدعاء ، وكيفية اجابته وآدابه ، بما لا مزيد عليه هذا بعض منها تبصرة وذكرى للذاكرين ، قال صلوات الله وسلامه عليه ، [ـ الدعاء هو العبادة ثم قرأ ـ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي

---

(٧٦) غافر : ٤٠ آية ٦٠
(٧٧) الاعراف : ٧ آية ٥٥
(٧٨) غافر : ٤٠ آية ٤٩
(٧٩) غافر : ٤٠ آية ١٤
(٨٠) يونس : ١١ آية ١٠٧

سيدخلون جهنم داخرين ـ[٨١] ، ـ من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء فى الرخاء ـ[٨٢] ، فذاك الحديث ابان حقيقة الدعاء فى نظر الاسلام مع الاستدلال بالآية على حقيقته التى هى العبادة بدلالة قوله تعالى ـ ان الذين يستكبرون عن عبادي اى عن دعائي فسمي الدعاء بالعبادة ونص عليه ، وهذا الحديث صرح بان الذين يريدون ان يستجاب لهم فى الشدة عليهم ان لا ينسو اطلب الرحمة فى الرخاء ليستدل بهذا على صدق نيتهم فى دعاءهم عند الشدة ، لا كالانسان الذى اذا مسه الشر كان هلوعا ، واذا مسه الخير كان منوعا متنكرا لخالقه وناسيا ذكراه ، وداعيا له وذاكرا اذا مسه الشر حريا بما وصفه الله تعالى بقوله ـ ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين ، الذين هم على صلاتهم دائمون ـ الآيات ـ[٨٣] وقوله صلوات الله وسلامه عليه ، (ـ ان الله يقول : انا عند ظن عبدى بي ، وانا معه اذا دعاني ـ[٨٤] ، ـ الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ، ونور السموات والارض ـ[٨٥] ففى هذين الحديثين والاحاديث التي قبلها ادل دليل على دعوة الهدى النبوي الى الدعاء ، وبيان كنهه وحقيقته ، ولمن يجب ان يكون الدعاء ، ومن هو المدعو السميع المجيب ، ولما له من مكانة رفيعة ذكره الله تعالى هو وما اشتق من كلمة دعا فى [٢٠٧] آيات ولئلا يذهب المرجفون والذين فى قلوبهم مرض الى ان الدعاء مقبول فى كل ما يدعو الانسان به ، ويريد تحقيقه أو بطلانه ، ليقفوا فى طريق الداعين قائلين ، اين ما دعوتم ، اين مفعول دعائكم ، ومتى يستجاب

---

(٨١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح والحاكم وقال صحيح الاسناد ٠

(٨٢) رواه الترمذى والحاكم وقال صحيح الاسناد عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ٠

(٨٣) المعارج : ٧٠ آية ١٩ـ٢٥ ٠

(٨٤ و ٨٥) رواهما الحاكم وصحح اسنادهما ٠

لكم ، وامثال هذا التثبيط فى عزائم الداعين ، والتشكيك فى اجابة الدعاء ، بين الاسلام شروط الاجابة ، واى دعاء مستجاب ليكون الداعون على بينة من امر دعائهم اذا ارادوا ان يستجاب لهم بقوله تعالى ـ واذا سألك عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعانى ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ـ [٨٦] والسنة النبوية اعلنت عن اصول الدعاء وكيفية الاجابة وشروطها ، لمن • ومتى • وكيف ، بما لا مجال للمرجفين فى التعليق عليه ، أو الأشارة اليه بقوله صلوات الله وسلامه عليه ، **ـ ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا** اعطاه الله بها احدى ثلاث اما ان يعجل له دعوته ، واما ان يدخرها له فى الآخرة ، واما ان يصرف عنه **من السوء مثلها ، قالوا : اذاً نكثر قال : الله اكثر ـ** [٨٧] •

وفى رفع اليدين فى الدعاء احاديث رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل ، وآثار عن السلف الصالح ، منها قوله صلوات الله عليه وسلامه عليه ، الذى رواه ابو داود والترمذى وحسنه والبيهقي والحاكم وقال اسناده صحيح ، عن سلمان الفارسي رضى الله عنه ، ان النبي قال : ـ ان ربكم حيي كريم يستحي من عبيده اذا رفعوا ايديهم اليه ، ان يردها صفرا ـ ، وروى مسلم عن انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء ـ ، وروى الحاكم فى المستدرك عن عمر رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام كان اذا مد يديه فى الدعاء لم يردها حتى يمسح بهما وجهه ـ ، وكان ابو الدرداء رضى الله عنه يقول : ارفعوا هذه الايدى قبل ان تغل بالاغلال ، وهكذا كانوا يرون رفع اليد ومسح الوجه

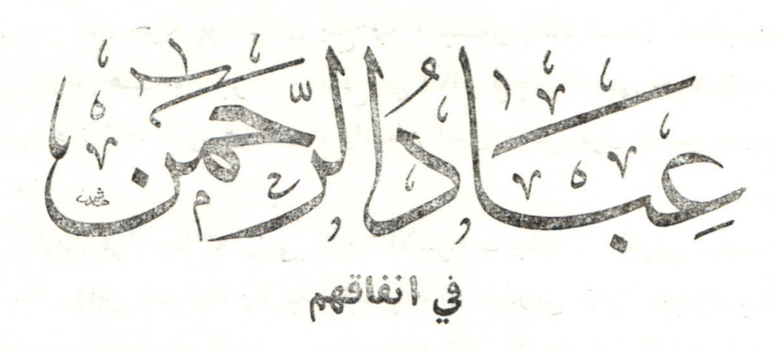
---

(٨٦) البقرة : ٢ آية : ١٨٦ •

(٨٧) رواه الامام أحمد والبزار وأبو ليلى بأسانيد جيدة ، والحاكم وقال صحيح الاسناد عن أبي سعيد الخدرى •

وارداً عن النبي صلى الله عليه وسلم فيفعلون هذا اسوة به واقتداء وتحصيلا لفضيلة اتباعه صلوات الله وسلامه عليه هذا : ولم يكن الاسلام نص على دعاء مخصوص من كتاب مخصوص في زمن مخصوص ، بل اطلق ذلك ليتسنى للمؤمنين والمؤمنات الدعاء بما شاءوا مالم ينكره الاسلام عليهم ، وفى اى وقت شاؤا ، وفى اى مكان ارادوا ، على ان الدعاء بالمأثور من الكتاب والسنة افضل واولى ، والله سميع الدعاء ، واسع الرجاء ، يجيب دعا المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء عمن يشاء ويزيل بلواه ، ويقبل التوبة عمن يتوب ، ويجعل الجنة مأواه ، ويجزيه احسن ما عمل يوم لقاه ، يـــوم **لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله .**

* * *



في انفاقهم

والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما •

الفرقان : ٦٧

هذه الصفة الرابعة من صفات عباد الرحمن الصالحين الذين اذا انفقوا نفقة صغيرة او كبيرة لم يسرفوا ، ولم يبذروا ، ولم يتجاوزوا ما ينبغي انفاقه من ضروريات الحياة ومقوماتها ، ولم يقتروا ويضيقوا النفقة على أنفسهم ، وعلى من يعولونهم ، وكان بين ذلك المذكور من الاسراف والتقتير قواما وسطا معتدلا ، والقوام فى اللغة ما يكفي الانسان من القوت •

ومن توسع قليلا فى مفهوم هذه الآية الكريمة ومقاصدها اتضح له ان الله تعالى جعل من الصفات الواجب على العباد الاتصاف بها ، ان يكونوا وسطا فى الانفاق على انفسهم واهليهم ، فلا يبذرون اموالهم فيما لا فائدة فيه ، ولا هو من ضروريات الحياة فينفذ ما عندهم ويصبحون عالة على الناس اسراءاحسان من هو مثلهم في العبودية ،بسبب هذا التبذير والاسراف اللذين اوقعاهم فى شراك الفقر وكاد الفقر ان يكون كفرا ، لانه اذا حل في نفس امارة مادت بصاحبها واضطربت ، وربما القته فى اتون الجرائم

التى من حام حوله يوشك ان يقع فيه ، فيستعر بلظاه استعار الحطب فى النار ، ومن هــذه الجرائم ما يوقع فى الكفر فيجنى لا على حياته فقط بل وعلى حياة الامة التى هو منها ، والوطن الذى يعيش فوق ارضه جنايــة لا تغتفر .

ومن قرأ قوله تعالى فى سورة الاسراء ـ وآت ذا القربى حقــه ، والمسكين وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ـ ، اتضح له نظر الاسلام فى التبذير وكيف قاس المبذرين على الشياطين ، وجعلهم اخوانهم فى كفر النعمة بالتبذير بجامع الاسراف فى كلٍ وقالوا :

قليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

ولئلا يحصر المسرفون مفهوم الاسراف فى المال فقط ، قال سبحانــه فى آية اخرى ـ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين ـ[٨٨] هذه الآية تدعو كأختها الآية السابقة الى تجنب الاسراف فى الاكل والشرب اللذين كثيرا ما يؤدي الاسراف فيهما لا الى الاسراف فى المال فقط بل الى امراضٍ خطيرة مهلكة كشف عن مكمنها اطباء اليوم بعد اطباء الامس ، واعلنوا عما يحدث من امراضٍ لولا الاسراف فى الاكل والشرب لاصبح الناس فى غنى عنها ، ومنجاة منها ، كما حذر الاطباء القدامى من عواقبه الوخيمة وقالوا :

فان الداء اكثر ما تراه ... يكون من الطعام او الشراب

وكما يكون الاسراف فى المال والطعام والشراب يكون فى المعاصي والملاهي المنكرة شرعا وعقلا بحيث تصرفه عن العمل فى سبيل الآخرة

(٨٨) الاعراف : آية ٣١

انصراف الأخرس عن الكلام ، والأصم عن السمع ، فلا يسمع قولا ولا يهتدي سبيلا ، وعلى هذا يحمل قوله تعالى فى سورة غافر [لا جرم انما تدعونني اليه ، ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وان مردنا الى الله ، وان المسرفين هم اصحاب النار] اى المسرفين فى المعاصي المؤدية الى الكفر والاشراك بدلالة السياق عليها .

هذا : وان الآية الكريمة كما دعت الى عدم الاسراف فقد نهت عن التقتير أيضا ، بأن لا يقتر الانسان على نفسه وأهله ، بحيث يمنع عنهم ما هو من ضروريات الحياة ، ومقومات الابدان ، فان التقتير فى هذا يجر الى البخل الذى حاربه الاسلام ونفاه عن المؤمنين نفي الشرك عن التوحيد ، والكفر عن الايمان ، على ما هو ظاهر من قوله صلى الله عليه وسلم ـ ولا يجتمع شحٌ وايمان فى قلب عبد ابدا ـ رواه النسائي وابن حبان فى صحيحه ، ورواه غيرهما أيضا ، لذا كان عليه الصلاة والسلام يدعو الله بقوله ـ اللهم اني اعوذ بك من البخل والكسل، وارذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة المحيا والمماة ـ رواه مسلم وغيره كما حذر الامة من الشح بقوله ـ اياكم والشحَّ فانما هلك من كان قبلكم بالشح ، امرهم بالقطيعة فقطعوا ، وامرهم بالبخل فبخلوا ، وامرهم بالفجور ففجروا ـ الحديث رواه ابو داود وابن حبان فى صحيحه .

فعلى هذا وذاك لا يكون المؤمن شحيحا ، ولا مسرفا مبذرا ، بل يكون وسطا فى جميع تصرفاته المشروعة ، والى هذا دعا الاسلام اهله بقوله تعالى ـ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ـ[٨٩] وانشد ابن الوردي :

بين تبذيرٍ وبخلٍ رتبةٌ   وكلا هذينِ ان زادَ قتلْ

---

(٨٩) الاسراء : ١٧ آية ٢٩

وهذا الحال الوسط يسمى ـ الاقتصاد ـ وقد عُنى به الاجتماعيون، والاداريون ، والماليون ، اكثر من عنايتهم بعلوم الحضارة والعمران ، لتوقف هذه العلوم عليه فى كل زمان ومكان ، ومن قرأ قوله تعالى قراءة تدبر عرف مراد الله من خطابه ـ يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون باللهورسوله ، وتجاهدون فى سبيل اللهباموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ـ* ، ثم نظر بعد الامعان الى بقية آيات الدعوة الى هذا وما فى مقدم الدعوة من تقديم المال على النفس فى الجهاد من مفهوم لا يدركه الا الراسخون فى العلوم الاقتصادية الحديثة والقديمة ، وتوغلهم فى معنى الأخذ بالحصار الاقتصادى الثابت فى نظم القتال ، وقوانينالنضال ، وما يريده الآخذون به ، والمنفذون له ، لصافح الاسلام العناديون مصافحة الطاعة والانقياد لمبدأه ، ولرجعوا الى تعاليمه رجوع الطير الى وكناتها ، والاسود الى عرينها ، وتبين لهم ان الجهاد المفروض على المؤمنين والمؤمنات يحتاج الى القوة المأمورين بأعدادها ـ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ـ(٩٠) والقوة لا تأتى الا بالمال ، والمال لا يجتمع الا بالاقتصاد الذى اصبح بهـذا الحكم واجبا دينيا على قاعدة ـ ما لا يتم الواجب الا به كان واجبا ـ ولقالوا هذا الذى ينقذ العالم من براثن الانتهازيين ، ومخالب الفوضويين ، لا ما سطره المتقمصون ثياب الشياه وهم ذئاب جائعة ، ووحوش مفترسة ، من نظم ومبادىء اثبتت الحوادث العالمية فشلها المريع فى كل دور من ادوار حياتها ، وانها ان اقيم لها وزن بين شرذمة من المخدوعين المغفلين ، فلم يقم لها وزن بين ذوى الألباب الواعين المنتبهين لتناقضها مادة ومعنى

فجاءت كثوم ضم سبعين رقعـــةً
مشكلة الالوان مختلفـــــــات

(*) الصف : آية ٦٠ـ٦١ .
(٩٠) الانفال : ٨ آية ٦٠

هذا مدلول القرآن الكريم ، واما الهدي النبوى فى هذا الموضوع فكثير وكثير جدا ، منه قوله صلوات الله وسلامه عليه ، ـ رحم الله امرأً اكتسب طيبا ، وانفق قصدا ، وقدم فضلا ليوم فقره وحاجته ، ـ رواه ابن النجار ، جعل عليه الصلاة والسلام نزول رحمة الله تعالى على ذلك العبد المؤمن الذى اكتسب رزقا طيبا ، وكسب كسبا حلالا بكد يمينه ، وعرق جبينه ، وعصارة ذهنه ، وانفق نفقة معتدلة من غير اسراف ولا تقتير ، وقدم فضلا مما اكتسبه ، ليدخره الى يوم فقره وحاجته ، وعطلته ومرضه وشيخوخته ، وهذا ما يسمى اليوم ـ التوفير ـ وسماه صلى الله عليه وسلم ـ فضلا ـ ومنه الافضال ، وحبذا لو اشيع استعمال هذه الكلمة بين الكتبة والمحررين فى هذا المعنى اقتداءً بصاحب الفصاحة والبلاغة لتجتمع الحقيقة الشرعية واللغوية فى كلمة واحدة ، وأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ، وما يُغنى عنه ماله اذا تردى .

* * *



في توحيدهم

والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ·

الفرقان

هذه الصفة الخامسة من عباد الرحمن الصالحين ، ان يعبدوا الله تعالى ولا يشركوا به شيئا ، ولا يدعوا معه احدا فى كل ما أمرهم به ، فعليه يتوكلون فى جميع امورهم لقوله تعالى ـ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ـ[٩١] وبه يستعينون على قضاء حوائجهم للعهد الذى قطعوه على انفسهم فى جميع ركعات صلواتهم ـ اياك نعبد واياك نستعين ـ[٩٢] بتقديم المفعول على الفعل لأفادة الحصر وله يصلون وله ينحرون ، ـ فصل لربك وانحر ـ[٩٣] اى له لا لغيره ، ومن قرأ ـ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ـ[٩٤] عرف ما تدعو الآية المتقدمة اليه ، وللتحريم الوارد فى كل ما ذبح لغير الله تعالى حيث قال فى تعداد المحرمات بالنص الجلي ـ وما اهل لغير الله ـ[٩٥] واياه يدعون ـ قال ربكم ادعوني استجب لكم ـ[٩٦] ،

---

(٩١) المائدة : ٥ آية ٢٣
(٩٢) الفاتحة : ١ آية ٤
(٩٣) الكوثر : ١٠٨ آية ٢
(٩٤) الانعام : ٦ آية ١٢١
(٩٥) البقرة : ٢ آية ١٧٣
(٩٦) غافر : ٤٠ آية ٦٠

ـ بل اياه تدعون ـ[97] ومنه يطلبون دفع الضر وجلب النفع ـ ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون ـ[98] اى ترفعون اصواتكم بالدعاء والتضرع اليه ، لا الى غيره ، ـ بيدك الخير ـ[99] على سبيل الامر والحصر والاخبار تأكيدا لوجوب الركون اليه فى جميع الحاجات ، وتحذيرا من الشرك الذى قد يقع فيه الجاهلون هذه المعانى عن غباوة أو اغفال أو المتجاهلون لحاجة فى نفوسهم يريدون قضاءها من وراء هذا التجاهل المصطنع الذى موه حقائق التوحيد وحقيقته على كثير من السذج البسطاء ، فوقعوا فى هاوية الشرك من حيث لا يشعرون .

ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، جمع هذه المعاني التوحيدية فيما رواه الترمذى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ، قال كنت خلف النبي فقال يا غلام اني اعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام ، وجفت الصحف ـ ، حديث حسن صحيح ، قلت وهذه الفقرة الاخيرة من الحديث نصت على عدم تغيير ما ذكر فى علم الله تعالى ، ونص عليه كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، من وجوب التوكل عليه ، والاستعانة به ، واعتقاد ان الخلق كلهم لو اجتمعوا على ضرر احد او نفعه لم يصله منهم الا ما كتب له او عليه ، وهذا هو التوحيد الخالص الذى جاء به الاسلام ، ودعا اليه .

ومن اطلع على ما احدثته الاعتقادات المبتدعة فى الدين من نصدع

---

(97) الانعام : ٦ آية ٤١
(98) النحل : ١٦ آية ٥٣
(99) آل عمران : ٣ آية ٢٦

فى كيان الامة ، واختلاف بينها ، وصد عن السبيل القويم جرها الى صرف الوقت الثمين وضياعه فيما لم يأذن به الله ، وجرأ عليها الذين فى قلوبهم مرض ، والمرجفون فى كل مكان حلوا به ، وزمان كانوا فيه ، وامة خطوا رحالهم بين ظهرانيها ، من الذين هادوا السماعون للكذب ، الاكالون للسحت ، بالطعن ، والذم ، بل والاعتداء لا على حقوقها فى الحياة بل وعلى اوطانها وتراثها وكل مقدساتها حصيلة هذا الخلاف والنزاع والفرقة التي افقدتهم وحدتهم ، وذهبت بريحهم ، فكانوا كعصف مأكول ، وهباء منثور •

نعم لو اطلع على هذا الغيارى ، ووعوا عواقبه الوخيمة المنبعثة من الذين يريدون علوا فى الارض وفسادا ، لعلموا ان الاعتصام بحبل التوحيد الخالص الذى جاء به القرآن الكريم ، ودعت اليه السنة النبوية المطهرة ، حسام قاطع لأعناق الذين يريدون القضاء على تراث الامة الديني ، وكيانها الدولى ، بما يبيتون لها وله من كيد ، وما يسطرون من اباطيل وضلالات ترمي الناس بشرر الفوضى فى المبادىء المستوردة من هنا وهناك يتزعمها الذين لا يدينون دين الحق من الذين ضلوا واضلوا بدعوتهم الناس الى الباطل وتجاهرهم به وبالمحارم ليتبعهم الذين طبع على قلوبهم فلم يروا الا ما يريهم هؤلاء الطغاة المجرمون ويدعوهم الى الركون الى العصيان الذي يجرهم الى تخريب الاوطان ، وقتل البرآء ، وتقويض اركان الدولة ، واباحة ما حرم عليهم وبالتالي تكون الامة طعمة للمستعمرين ، وعرضة للمستعبدين ، ومطمعا للمنتهزين ، الذين خسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين •

* * *



في سلوكهم وعفافهم

ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا
بالحق ولا يزنون ·

الفرقان

هذه الصفة السادسة والسابعة فى عباد الله الصالحين ، ان يبتعدوا عن جريمة القتل ابتعاد النور عن الظلمة ، والخير عن الشر فان القتل من غير حق جريمة دينية ، مدنية ، اجتماعية ، انسانية ، اغلظ جزاءها ، واثقل عقوبتها ــ الاسلام ــ بعد أن نهى عنها ، وروّى مصير مرتكبها بلسان عربي مبين ، بقوله تعالى ــ ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، واعد له عذابا عظيما ــ ،(١٠٠)

هذه الآية الكريمة اغلظت الجزاء ، وروّت المصير ، بالوعيد لمن سولت له نفسه قتل مؤمن متعمدا قتله بالخلود فى نار جهنم بعد أن غضب الله عليه وطرده من رحمته التى وسعت كل شيء وهو يتلظى فى نار حامية ، وخلّد فى عذاب أليم ، وهذا لعظم النفس المؤمنة عند الله تعالى الذى حرم قتلها الا بالحق الذى ما بعده الا الضلال المبين ، وبيان لجزاء جريمة القتل وهو هدم

(١٠٠) النساء : ٤ آية ٩٣

بنية الله الذى خلق الانسان من نطفة امشاج ، وجعله بشرا سويا ، سميعا بصيرا واحسن خلقه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا .

هذا : وقد ذهب المفسرون فى توجيه هذه الآية الكريمة الى مذاهب شتى ، اطالوا الكلام فيها والاستشهاد عليها ، واقرب القول فيها انها نزلت فيمن يستحل قتل المؤمن لايمانه ، بناء على ان القتل لا يخرج المؤمن عن ايمانه الذى ينجيه من الخلود فى نار جهنم ، الا اذا تجرد منه باستحلال قتل مؤمن لايمانه ، وبهذا يتقمص ثوب الكفر فيخلد فى النار التى اعدت للكافرين ، وان الآية مطلقة تحتمل التقييد اذا دل عليه دليل مقبول ،والدليل قائم بآيات كثيرة من كتاب الله وهدى رسوله ، ـ ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ـ[١٠١] .

هذا هو الجزاء الصارم فى القتل العمد ، اما القتل الخطأ فقد ابان الاسلام جزاءه بقوله تعالى قبل هذه الآية المتقدمة التفسير ـ وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأً ، ومن قتل مؤمنا خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله ، وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، توبةً من الله ، وكان الله عليما حكيما ـ[١٠٢] هذه الآية الكريمة فصلت قتل الخطأ وقسمته الى ثلاثة أقسام .

(١)من قتل مؤمنا خطأً وأهله مؤمنون ، فعليه (١) تحرير رقبة مؤمنة ، (٢) دية مسلمة الى اهله ، ولاهل القتيل ان يتصدقوا

---

(١٠١) النساء : ٤ آية ٤٨ و ١١٦ مذيلة بقوله تعالى (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) .

(١٠٢) النساء : ٤ آية ٩٢

(٢) من قتل مؤمنا خطأً فى دار الحرب ، ولم يعلم باسلامه ، او كان مسلما فى دار الاسلام واهله كفار فى دار الكفر فعليه الكفارة فقط .

(٣) من قتـل معاهدا خطأً فعليـه (١) دية مسـلمة الى اهله (٢) تحرير رقبة مؤمنة .

ومن لم يجد الرقبة المؤمنة فعليه صيام شـهرين متتابعين توبةً من الله تعالى مما صدر منه ، والله عليم بمنويات عبـاده ، حكيم يضـع الاحكام فى مواضعها ، والدية ما تؤدى الى اولياء القتيل وقد بينها صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو داود عن عطاء بن رباح ان رسول الله قضى ، وفى رواية عطاء عن جابر ، فرض رسول الله الدية على أهل الابل مائة ، وعلى اهل البقر مائتي بقرة ، وعلى أهل الشاء الفي شاة ، وعلى أهل الحلل مائتي حلة .

واذا لم توجد هذه المذكورات فمن الذهب ، الف دينار على ما رواه النسائي من حديث عمرو بن حزم بلفظ ـ على اهل الذهب الف دينار ـ ومن الفضة اثنى عشر الف درهم ، لما اخرج ابو داود ان رجلا من بني عدي قتل فجعل صلى الله عليه وسلم ديته اثنى عشر الفا ـ يعنى دراهـم فضـة .

ولأهل القتيل ان يعفوا عن القصاص ويأخذوا الدية ، ولهم ان يعفوا عن الدية الى ما صولحوا عليه ، لقوله تعالى ـ يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والانثى بالانثى ،فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ، ولكم فى القصاص حيـاة يا أولي الالباب لعلكم تتقون ـ (١٠٣)

هذا جزاء القتل العمد والخطأ فى كتاب الله وهدي رسوله واحكامهما

---

(١٠٣) البقرة : ٢ آية ١٧٨ـ١٧٩

مع بيان الدية وانواعها فى السنة النبوية ملخصا من الآيات بان القتل نوعان (١) العمد (٢) الخطأ ، وزاد فى الحديث قسم ثالث وهو شبه العمد كالقتل بالسوط والعصا فيه مائة من الابل منها اربعون فى بطونها اولادها ـ وزاد الفقهاء قسما رابعا هو شبه الخطأ ، وكتبهم شرحت هذا كله واستشهد كل منهم لما ذهب اليه ، وعوّل عليه فليرجع اليها من اراد التوسع فى هذا الباب ففيها ما يغنيه ويرضيه .

هذا : ولم تكن الآيات المتقدمة كل الآيات التى روّنت خطر القتل واعلنت عن عواقبه الوخيمة ، ونهايته المؤلمة ، بل فى القرآن آيات وآيات تحذر من القتل وتبين جريرته ، منها قوله تعالى بعد ان ذكر قصة ابن آدم للعبرة والاتعاظ ـ من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفسٍ او فسادٍ فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا ـ(١٠٤)

ولم يترك الاسلام المستحق للقتل من غير عقوبة رادعة صارمة ، بل اقر القتل قصاصا من الجاني المجرم ، وابقاءً لحياة الآخرين ، وتحذيرا لمن تسول له نفسه الاقدام على ما نهى عنه ، وحذر منه ، على ما ظهر من الآيات المتقدمة ومن قوله صلى الله عليه وسلم ـ لا يحل قتل مسلم الا فى احدى ثلاث خصالٍ ، زانٍ محصن فيرجم ، ورجل يقتل مسلما معتمدا ، ورجل يخرج من الاسلام فيحارب الله عز وجل ورسوله فيقتل او يصلب او ينفى من الارض ـ رواه النسائي واخرجه ابو داود والحاكم وصححه ، وجعل قتل النفس من غير حق من السبع الموبقات ومرتبته بعد الاشراك بالله ـ قتل النفس التي حرم الله الا بالحق ـ الحديث ، رواه البخارى ومسلم وجعل الابتعاد عن قتل النفس بغير حق مما بويع عليه ، صلوات الله عليه ، بقوله

(١٠٤) المائدة : ٥ آية ٣٢

ـ الا تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ـ الحديث ، رواه البخارى وغيره ، ولم يقتصر هذا على قتل المسلم بل تعداه الى المعاهد الذى وطأ ارض الاسلام على عهد من دولة الاسلام والى الذمي المواطن فى ارض المسلمين بقوله صلى الله عليه وسلم ـ من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ـ الحديث رواه البخارى فى رواية النسائي ـ من قتل قتيلا من اهل الذمة لم يرح رائحة الجنـــة ـ الحديث يعنى بغير حق •

هذا هو الاسلام فى حفظ ارواح الناس ومنع ازهاقها من غير حق ، ليروي للعالم حكمه فيه ، ورأفته فى الذين استأمنوه على انفسهم واموالهم وفيمن هم تحت ذمته ورعايته ، كما روّى عظم عقوبة القاتل ، وقبح اركاب جريمة القتل ولم يظلم احدا منهم ولكنّ الناس انفسهم يظلمون •

ولما حرم الاسلام قتل النفس بغير حق ، اقامةً للعدل ، ورعاية للنظام الامني ، والمنهاج الاجتماعى ، ودرءً للمفاسد التى قد تتأتى من عدم القصاص، وتجرأ المجرمين على ارتكاب جرائمهم فى المجتمعات التى تعشق الامـــن والامان ، وتنشد السلامة والاستقرار ، نهى عن جريمة ـ الزنا ـ لما فيه من مضرة اجتماعية عامة يتعلق فيها تضيع النطف ، وابادة النسل ، وامتهان الاعراض ، وهتك حجب الفضيلة التى يجب ان تصان عن مواطن الرذيلة المتأتي منها العار الذى لا يحتمله الغيارى من الناس زيادة عما يحدث من امراض تناسلية وبيلة تأخذ بتلابيب مقتحمها الى لحود الدمار ، وتتركـــه يتقلب على جمرها الوقاد ، فيتمنى الخلاص ، ولات حين مناص حتى يموت فى حسرة السلامة وهو من النادمين •

لهذا وذاك اثقل الاسلام عقوبة الزنا فاوجب رمي الزاني المتزوج بالحجارة حتى يموت ممتهن القدر بحضور جماعة من الناس جزاء خيانته

لزوجته ، وعصيانه لربه ، والزانية المحصنة كذلك ، وقضى على غير المتزوج والمتزوجة بالجلد مائة جلدة امام طائفة من الناس ، تأديبا له ولها ، وعبرة لغيرهما ، واستأصالا لشأفة هذه الجريمة النكراء ، ودعوة الى التحصين بالزواج الشرعي الذى احله الله ورسوله ، حيث به بقاء التناسل ، ودوام التواصل ، وعليه تشاد صروح النظم الاجتماعية ، وبه تدرأ الامراض المهلكة التى سببها السفاح كما لا يخفى على الراسخين فى العلوم الاجتماعية ، والقوانين الطبية .

وبهذا امر الله تعالى الحكام من عباده فى صدر سورة النور حيث يقول ـ الزاني والزانية فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدةٍ ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ـ[١٠٥] وبعد هذا ابان من هو الزاني ومن هي الزانية ، وما حكم الزنا فى كتاب الله بقوله تعالى ـ الزانى لا ينكح الا زانية او شركة ، والزانية لا ينكحها الا زانٍ او مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين ـ[١٠٦]

هاتان الآيتان الكريمتان اثبتت الاولى الجلد للزاني وهو مطلق فيمن كان محصنا أو لم يكن ، والثانية بيت من هو الزاني وبمن يزنى ، ومن هى الزانية وبمن تزني مع بيان حكم الزنا وهو التحريم ، واما الرجم فقد ثبت بالسنة وبه اخذ أئمة المسلمين وعليه كان اجماعهم كما اجمعوا على التغريب عاما بعد جلد الزاني ، لما روى احمد والبخارى انه صلى الله عليه وسلم قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام ، واقامة الحد عليه ـ ورويا ايضا عن الامام علي رضوان الله عليه انه حين جلد المرأة المحصنة الزانية

---

(١٠٥) النور : ٢/٢٤
(١٠٦) النور : ٣/٢٤

يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة قال : جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله ٠

وفي السنة النبوية احاديث كثيرة تحذر من الزنا وتبين عاقبته الاليمة منها ما راه البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال ـ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ـ الحديث وروى الطبراني انه عليه الصلاة والسلام قال ـ ان الزناة تشتعل وجوههم نارا ـ اى يوم القيامة ٠

ففى هذا اكبر رادع ، واعظم محذر عما حرم الله تعاطيه لمن كان له قلب يعي مفهوم ما اراد الله ورسوله من هذا التشديد الشديد فى امر الزنا الذى لم يكن ضرره مقصورا على فاعله ، وانما يتعداه الى الامة جمعاء لانه عضو فى جسمها الذى قد سرى فيه ما يخل ببقية اعضائه اذا لم يدركه رجالات الامة ، وولاتها ، واساتها ، بالعلاج الناجع الذى يقطع دابر هذا الداء المهلك المخزي من اصله ، ليعيش جسم الامة فى مأمن من جرائيم هذا الوباء الخطر ، والا هلك افراد الامة الطائشون ، وهلكت الامة بهلاكهم ، واصبحت كأن لم تغنَ بالامس ٠

هذا : ولم يترك ـ الاسلام ـ الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى البرآء منها ، والبعيدين عنها ، بل ابان عقابهم ، واعلن حكمه فيهم حيث قال سبحانه بعد آيات الزنا ـ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادةً ابدا واولئك هم الفاسقون، الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا ، فان الله غفور رحيم ـ[١٠٧] ٠

كما انه لم يترك حكم مصير الزوجية اذا رمى الزوج زوجه بالزنا ولم تكن بينة واضحة فيه باقرارها او باربعة شهود عدول يشهدون عليها

---

(١٠٧) النور : ٢٤ آية ٤ـ٥

بالزنا ، بل ابان الحكم فيه ، وفتح الباب التى يخرج منها الزوجان مبتعدين عن بعضهما ليتخلصا مما ابتليا به ، واصرا عليه ، حلا لمشكلتهما ورحمة من الله لهما حيث يقول تعالى ـ والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم ، فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ، والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ـ والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ـ(١٠٨)

وبعد هذه الآيات التى ابانت حكم الاسلام فى الزاني والزانية والزنا وفيمن يرمي البرآء به ولم يكن اقرار ولا شهداء ، وعظ سبحانه المخاطبين بخطابهم ، ونصحهم ان لا يقولوا ما لم يتأكدوا من وقوعه ، وبين جزاء الذين يحبون اشاعة الفاحشة فى المؤمنين بعد حديث الأفك الذى جر الخزي والعار على الأفاكين واعلن عن جزاءهم الدنيوي والاخروي ، ونص على كذبهم لخلو افكهم عن شهداء يؤيدونه ويزكونهم فى افكهم والله يعلم حقيقة الامر وهم لا يعلمون حيث شهد عليهم بالافك الكاذب وهو خير الشاهدين فقال عز وجل ـ ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبونه شرا لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا ، وقالوا هذا(١٠٩) افك مبين ، لولا جاؤا عليه باربعة شهداء ،

---

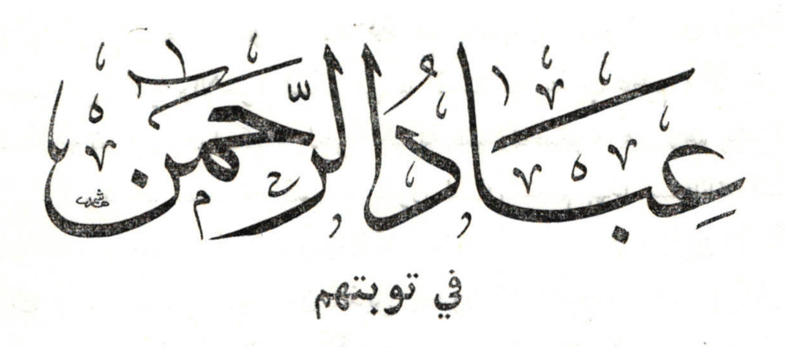
(١٠٨) النور : ٢٤ آية ٦ـ١٠

(١٠٩) الافك الكذب وهو أقبحه وأفحشه ، والافاك الكذاب ، وبابه ضرب يضرب قال تعال في سورة الجاثية (ويل لكل أفاك أثيم) وقد جاءت كلمة ـ الافك ـ وما اشتق منها في تسع وعشرين آية ـ٢٩ـ من القرآن العظيم وكلها تدل على الخيبة والخسران فيما يأفكون .

فاذا لم يأتوا بالشهداء ، فاولئك عند الله هم الكاذبون ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما افضتم فيه عذاب عظيم ، اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ، ولولا اذا سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هـذا بهتان عظيم ، يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ، ويبين الله لكم الآيات والله عليكم حكيم ، ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وانتم لا تعلمون ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، وان الله رؤوف رحيم ، يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشـاء والمنكر ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ، ولكن الله يزكي من يشاء ، والله واسع عليم ـ(١١٠)

* * *

(١١٠) النور : ٢٤ آية ١١ـ٢١



في توبتهم

ومن يفعل ذلك يلقَ أثاماً ، يضاعف
له العذاب يوم القيامة ، ويخلُد فيه
مُهاناً الا من تابَ وآمنَ وعمل عملاً
صالحاً فأولئك يُبدلُ الله سيآتِهم
حسناتٍ ، وكان اللهُ غفوراً رحيما ،
ومَن تابَ وعمل صالحاً فانَّه يتوبُ
الى للهِ متابا .

الفرقان : ٦٩ــ٧١

هذه الصفة الثامنة فى عباد الله الصالحين أن اذا وقعوا فى خضم الجريمة سارعوا الى الخروج منها نادمين تائبين حيث يقول تعالى ـ ومن يفعل ذلك ـ الذى حرمه الله من الشرك والقتل والزنا وبقية ما حرم على عباده بالالتزام ، ـ يلق اثاما ـ اثما عظيما ـ يضاعف له العذاب بسببه ـ يوم القيامة ـ يوم يوم يقوم الناس لرب العالمين ـ ويخلد فيه مهانا ـ حقيرا ذليلا ـ الا من تاب ـ توبة نصوحا ـ وآمن ايمانا ثابتا خالصا ـ وعمل عملا صالحا ـ فيه النفع

العام الذى يأخذ بيد عامله الى سعادة الدارين ، ـ فأولئك الذين تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات الباقيات ـ يبدل الله سيآتهم ـ التى اقترفوها ـ ،حسنات، وكان الله غفورا ـ للذنوب رحيما ـ بالعباد ـ ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى اللهمتابا ـ لارجوع بعده الىالجريمة وهذه الآية تأكيد للأولىوتحقيقا لمكانة التائب وسلوكه فى الحياة السعيدة بعد نجاته من شقائها وهو من الصالحين .

من هنا النجاة ايها المذنبون ، اذا ما اردتم ان يغفر الله ذنوبكم ، ويكفر عنكم سيآتكم ، ويجعلكم فى مفازة من العذاب ، ومنجاة من العقاب ، ويبدل سيآتكم حسنات ، ويدخرها لكم يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم ، يقولون ربنا اتمم لنا نورنا ، واغفر لنا، انك على كل شيء قدير ، ولسان حالهم يقول :

إلهي عبدُكَ العاصي أتاكا ... مقراً بالذنوب وقد دَعاكا

فإنْ تغفرْ فانت لذاك أهلٌ ... وإن تطردْ فمن يرحمْ سواكا

فاخلعوا ثياب العصيان ، واطلبوا الغفران ، وانتم مرددون مرتلون ـ ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ـ[111] فانه تعالى دعا المؤمنين والمؤمنات الى التوبة النصوح الخالصة حيث يقول ـ يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ـ[112] ، فتولوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون ـ[113] واخبر ان ملائكته يستغفرون لمن خلدوا الى التوبة ، ونبذوا المعاصي وراءهم ظهريا بقوله سبحانه [الذين يحملون

---

(١١١) الاعراف : ٧ آية ٢٣
(١١٢) التحريم : آية ٨
(١١٣) النور : ٢٤ آية ٣١

العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ، ويؤمنون به ، يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم ـ(١١٤) وادخل الأمل الى نفوس المذنبين اذا ارادوا التوبة ، وطلبوا المغفرة فى قوله عز وجل ـ قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ـ(١١٥) وجعل من صفات المتقين الرجوع الى التوبة بعد الزلة ، وبين جزاء التائبين منهم بما يشفي صدور التائبين حيث قال ـ والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار ، خالدين فيها ونعـم اجر العاملين ـ(١١٦)

ولئلا تتخذ التوبة ملعبا بأيدى المذبذبين الذين كلما ردوا عن الفتنة عادوا اليها مغترين بقيام صحتهم ، وبعد اجلهم ، ولم يعلموا ان الاجل اذا جاء لا يؤخره الصغر ، ولا تبعده الصحة ، قال سبحانه ـ انما التوبة على الذين يعملون السوء بجهالة ، ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما ، وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار ، اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ـ (*)

هذه بعض آيات التوبة التى ذكرت فى القرآن العظيم وما اشتق منها فى اثنتين وثمانين آية [٨٢] او تزيد ، اثبتنا بعض ما يحيط بها من قواعد ونظم وهذه بعض ما جاء فى الهدي النبوى موعظة وذكرى للذاكرين قال

(١١٤) غافر : ٤٠ آية ٧
(١١٥) الزمر : ٣٩ آية ٥٣
(١١٦) آل عمران ٠
(*) النساء : آية ١٧ـ١٨ ٠

صلوات الله وسلامه عليه [ـ ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر] اى يكون في غرغرة الموت ، رواه ابن ماجه وروى ايضا ـ يا ايها الناس توبوا الى الله قبل ان تموتوا ، وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشغلوا ، وصلوا الذين بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة فى السر والعلانيـــة ، ترزقوا أو تنصروا وتجبروا ـ الحديث ، وهذا ، شعور المؤمن والفاجر اذا ما ارتكبا جرما فان المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه ، وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على انفه ، فقال له هكذا ، فخذ لنفسك ايها الانسان الواعي ما يحلو لتكون قد اتجهت الى ما يدلك على مصيرك الذى ستؤول اليه اذا ما بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا .

* * *



في شهاداتهم

والذين لا يشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراما .

الفرقان

هذه الصفة التاسعة فى عباد الرحمن ، ان لا يشهدوا الزور ولا يقربوا مواقعه ، واصل الزور حقيقة تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته كتمويه الباطل بما يوهم انه الحق ومنه التزوير ، والازورار ، يقال ازور فلان اذا عدل عن الشيء وانحرف عنه ، قال الشاعر :

وازور من كان لـــه زائرا   وعاف عافي العـــرف عرفانه

اى انحرف عنه الذى كان يزوره ، وطالب الاحسان كره معرفته . ويطلق الزور ويراد به الباطل الذى هو خلاف الحق ، وكل هذه المفاهيم محرم الاتصاف بها على المؤمنين والمؤمنات تحريما لاهوادة فيه ، لنفي شهادة الزور عن عباد الرحمن الصالحين واشتراط اجتنابهم عنها وفرارهم منها ، وجعلها ركنا من اركان صفاتهم التى تميزهم عن غيرهم فى هذه الآية الكريمة ، وللامر الوارد فى اجتناب قول الزور الذى هو اعم من شهادة الزور فى قوله تعالى ـ واجتنبوا

الرجس من الاوثان ، واجتنبوا قول الزور ـ[117] ليدخل فى مفهوم الزور الشهادة المختلقة ، والغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والبهتان ، وامثالها التى هى والحق على طرفى نقيض ، لذا كان الامر للوجوب المستفاد من السياق حتما، وفى قوله تعالى ـ ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا[118] ابين بيان لجزاء المزورين على ما هم براء منه ، واوضح رادع لاولئك الذين يتقمصون ثياب الزور ويشهدون وهم فى غيهم يتخبطون •

هذا بعض ما فى القرآن العظيـــم من النهي عن المنكر والتحذير منه ، والوعيد عليه ، وبيان عاقبة المزورين وما يحملون من وزر دائم مقيم ، نصت عليه الآيتان السابقتان وهذه الآية ـ وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاؤا ظلما وزورا ـ[119] وهذه الآية ـ وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ـ[120] وهذا بعض ما فى السنة النبوية من بيان حقيقة حكم شهادة الزور وعظم جرمها وجريمتها تبصرة وذكرى لكل عبد منيب •

روى البخارى ومسلم عن انس بن مالك قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر او سئل عن الكبائر ، قلت : وهذه رواية عن محمـــد بن جعفر ايضا رضوان الله عليه ، فقال رسول الله [الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وقال : الا انبئكم باكبر الكبائر ، قول الزور ، او قال : شهادة الزور] وعن ابى بكرة فى رواية البخارى ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال : الا انبئكم باكبر الكبائر ، قلنا بلى يا رسول الله ، قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكأ فجلس وقال ، الا وقول الزور وشـــهادة

---

(١١٧) الحج : ٢٢ آية ٣٠
(١١٨) النساء : ٤ آية ١١٢
(١١٩) الفرقان : ٢٥ آية ٤
(١٢٠) قد سمع : ٥٨ آية ٢

الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، وروى ابن ماجه انه عليه الصلاة والسلام قال : لن تزول قدم شاهد الزور حتى توجب له النار ـ قلت ورواه الحاكم وقال صحيح الاسناد .

ففي الحديث الاول نص على ان شهادة الزور وقول الزور من اكبر الكبائر التى تسوق صاحبها الى النار ، وفى الحديث الثاني بيان شدة كراهية النبي لشهادة الزور وقول الزور لكثرة ما كرر ذكرهما بعد ان عدهما فى عداد اكبر الكبائر حتى اشفق عليه المسلمون الاولون محبة به ، وكراهية لما يزعجه ، قال العلامة الشوكانى فى قولهم : قلنا ليته سكت اى شفقة عليه ، وكراهية لما يزعجه ، وفيه ما كانوا عليه من كثرة الادب معه ، والحب له ، والشفقة عليه ، أ هـ .

قلت ولابد للباحث عن سبب هذا التكرار من الوقوع على حقيقة غضب النبى صلى الله عليه وسلم الذى جره الى تكرار القول فى شهادة الزور وقول الزور مع انهما ليسا باعظم من الاشراك الذى لا يغفر الله الا دونه ، لقوله تعالى ـ ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ـ(١٢١) وهذه الحقيقة تظهر للمتأمل اهتمامه عليه الصلاة والسلام ببيان عظم جريمة الزور فى الاسلام وهى ان الزور اسهل تهاونا على الناس من الشرك الذى ينبو عنه قلب المسلم المؤمن ويفر منه ، ومن العقوق الذى يصرفه الطبع ، ويرده العدل الفطرى عن الانسان الواعى ، اما الزور فالحوامل عليه كثيرة ، منها العداوة والحسد والطمع فى مال او جاه او منصب ، أو اى شىء آخر من المآرب الدنيوية الفانية ، لذا جاء الاهتمام ببيان حكمة فى الاسلام ، ومقته له ، وتشديده فيه ، لكونه مفسدة متعدية الى الغير ، بخلاف الشرك لقصوره على المشرك غالبا ، وكذلك العقوق ، لهذا اوعد صلوات الله وسلامه

---

(١٢١) النساء : آية ٤٧ و ١١٥

عليه فى الحديث الثالث المزورين فى اقوالهم وشهاداتهم اشـد ايعاد حيث اوجب لهم النار قبل ان ينتقلوا من مكانهم ، ليسرع القائمون عليه الى الفرار منه ، والنجاة بانفسهم قبل ان يحق القول عليهم ، والله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير •

وعلى الذين لا يشهدون الزور ولا يحضرونه انهم اذا مروا باللغو الذى هو كل ما يجب ان يلغى تعاطيه ، ويترك تدانيه ، مروا كراما بانفسهم عن ان يدنسوها بما نهاهم الله عنه ، ومنعهم منه ، ويحشرونها محشر اولئك الذين انغمسوا فى اللهو وغرقوا فى اللغو ، ولم ينظروا الى عاقبة ماهم قادمون عليه ، ومحشورون اليه ، ـ حتى اذا جاء احدهم الموت ، قال رب ارجعوني لعلى اعمل صالحا فيما تركت ، كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ـ [١٢٢] •

والآيات القرآنية الاخرى جعلت من صفات المؤمنين والمؤمنات الاعراض عن اللغو لئلا يسيطر على مشاعرهم ، ويفيض على السنتهم ، فتشـطب اسماؤهم من سجل عباد الرحمن العارفين ، وتوضع فى قائمة اولئك الجاهلين الذين كرهوا ما انزل الله فاحيط اعمالهم ، حيث قال سبحانه ـ واذا سمعوا اللغو اعرضـوا عنـه ، وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ـ[١٢٣] كما انه تعالى وصفهم بالاعراض عن اللغو الذى يجل المؤمن عن الاقتران به ، أو الدنو منه ، حيثما وجد واينما كان ، فى قوله عزوجل ـ قـد افلح المؤمنـون الذينهم فى صلاتهم خاشـعون ، والذينهم عن اللغو معرضون ، ـ[١٢٤] •

هذا : واما قوله تعالى ـ لا يوآخذكم الله باللغو فى ايمانكم ـ فى سورة

---

(١٢٢) المؤمنون : ٢٣ آية ١٠٠
(١٢٣) القصص : آية ٥٥
(١٢٤) المؤمنون : آية ١ـ٢

البقرة ـ[١٢٥] والمائدة ـ[١٢٦] فليس مما نحن فيه اذ المراد من اليمين اللغو هو ما يحلف الانسان على شيء يظن انه صادق فيه وفى الحقيقـــة انه على خلاف ما ظن ، او انه يأتي على اللسان من غير قصد كمن سبقه لسانه على الحلف عادة على خلاف ما هو عليه من غير تعمد ، فان المؤاخذة على الحنث فيه ملغاة ولا كفارة عليه بخلاف ما اذا كان عاقدا قلبـــه على ما فى لسانه ، قاصدا الكذب فيه ، والتعمد به ، ومن قرأ الآية الاولى فى سورة البقرة آية **٢٢٥** وهى قوله تعالى ـ لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ، والله غفور حليم ـ وقرأ الثانية فى سورة المائدة آية **٨٩** ـ لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ـ ورجع الى دراسة الآيات المتقدمة الكتابة والتفسير بامعان وانعام وتدبرها تبين له المفهوم الذى اوضحنا المراد منه بما استطعنا اليه سبيلا ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

---

(١٢٥) البقرة : ٢ آية ٢٢٥
(١٢٦) المائدة : ٥ آية ٨٩



في ذكراهم

والذينَ اذا ذُكّروا بآياتِ ربهِم لم
يخروا عليها صُمّاً وعُميانا .

الانبيـــاء

هذه الصفة العاشرة في عباد الرحمن ، انهم اذا ذكروا بآيات الله ربهم ليتعظوا بها ، لم يخروا عليها صما لا يسمعون ، وعميا لا يبصـرون ، بل يخرون عليها مصغين اليها ، وسامعين لها ، وعاملين عليهـا طائعين مذعنين ، ليدخلوا في زمرة اولئك الذين وصفهم الله بقوله ـ وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ـ(١٢٧) .

والمراد بآيات الرحمن القرآن الكريم لاحتوائه عليها ، وشموله لها ، فانه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة في سبيل الصالح العام الانساني الا احصاها اجمالا وتفصيلا لئلا يكون لاولئك الذين يحيدون عن سبيله حجة يحتجون بها اذا ما وضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضـي بينهم بالحق وهـم لا يظلمون .

لذا دعا هذا الكتاب المبين الناس الى الاستماع اليه ، والانصاة له ، لتسمع آذانهم ، وتعي قلوبهم ، فتعمل الجوارح ما دلهم عليه ، ودعاهم اليه ، وامرهم

---

(١٢٧) مريم : ١٩ آية ٥٨

به ، وحذرهم منه ، حيث قال تعالى ـ واذا قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ـ[١٢٨] وندد بذلك الذي اذا سمع آيات الله تتلى عليه استكبر عن سماعها وراح يشغل نفسه بما يصرفه عنها ، وينفره منها ، وبين عاقبة أمره ، وفداحة خسارته ، ونهاية مصيره ، ليحذر الذين تسول لهم انفسهم هذا الصدود وتزينه لهم فتقع فيما وقع فيه هذا المستكبر عن سماع ما انزل الله على عباده بقوله سبحانه ـ ويل لكل افاك اثيم ، يسمع آيات الله تتلى عليه ، ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم ـ[١٢٩] .

وضرب مثلا للخشوع والهيبة لقرآنه العظيم بما يستعظمون في اعينهم من الجمادات ، وليعلموا أنهم اولى بالخشوع له ، والاستماع اليه ، اذا ما تليت عليهم آياته من هذا الجماد الذي لم يخلق لما خلق الانسان له من تحمل التكاليف الشرعية التي شرعها الله لذوي العقول من الناس وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا ، على ما يتضح من قوله تعالى ـ لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ـ[١٣٠] .

ومن قرأ قوله تعالى ـ وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ـ[١٣١] وتدبر مفهومه ، ظهر له ان الرسول الذي جعله الله شاهدا على اعمال امته سيشهد على هجرانهم قراءة قرآنه للعمل على نظمه ، ومواثيقه ، وتوجيهاته ، وهذا تنبيه عظيم لاولئك الذين يريدون النجاة يوم الدين ، يوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ، لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ،

---

(١٢٨) الاعراف : ٧ آية ٢٠٤
(١٢٩) الجاثية : ٤٥ آية ٧
(١٣٠) الحشر : ٥٩ آية ٢١
(١٣١) الفرقان : ٢٥ آية ٣٠

وكان الشيطان للانسان خذولا .

واكد بان القرآن يهدي الناس لاقوم طريق يسعدون بها اذا سلكوها ولم يحيدوا عنها بقوله تعالى ـ ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشـــر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، ان لهم اجرا كبيرا ـ[١٣٢] .

هذا بعض ما في القرآن من دعوة الى سماع آياته والعمل بها وتحذير المتخلفين عنها ، والفارين منها حيث ذكرت الآيات مفردة ومجموعة في [٣٧٩] آية وذكر لفظ القرآن في [٦٩] آية وهذا بعض ما في الهدى النبوى من وعد لمتبعها ، ووعيد لمجتنبها ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم فيما روى مسلم في صحيحه عنه في ذيل حديث جامع ـ وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ـ الحديث ، وروى ابن حبان في صحيحه عن ابى ذر الغفارى انه قال قلت يا رسول الله اوصني : قال : عليك بتقوى الله ، فانه رأس الامر كله ، قلت زدني ، قال : عليك بتلاوة القرآن فانه نور لك في الارض وذخر لك في السماء ـ وروى ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ـ القرآن شافع مشفع ، وما حل ـ[١٣٣] مصدق ، من جعله امامه قاده الى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه الى النار ـ .

ومن تتبع الآيات القرآنية على اختلاف ما جاءت فيـــه من عبادات ، ومعاملات ، واخبار ، وقصص ، واخلاق ، ووعد ، ووعيد ، وحُكم ، وحِكم، اتضح له انها كافلة لانقاذ العالم مما هو واقع فيه من تخبط في المبادىء ، وتحير في الاتجاه ، وتبلبل في السياسة ، وتقلب في الحكم ، وتفسخ في الاخلاق ، وضيق في العيش ، واختلاف في الرأى ، وهروب من الجندية ، وخروج

---

(١٣٢) الاسراء : ١٧ آية ٩

(١٣٣) ما حل : مخاصم .

على المثل العليا التى أخذت بيده من قبل الى السعادة الابدية ، وسمت به الى قمم المجد والنصر المبين ودعمت دولته التى امتد سلطانها الى ما وراء البحار المحيطات بقوة عزم وشدة حزم ، ومناعة وشجاعة واقدام مما لم يستول عليه احد من قبل وهم فى حكمهم عادلون .

تجربة واحدة فى البحث عن مدلول آيات الله وما تدعو اليه ضمان لرجوعك الى حضيرتك الاولى ، وهرولتك نحو ما تركته وراءك فتخبطت فى بيداء الاوهام ، وبوادي الشكوك ، ومفازة الحيرة التى اقعدتك عن ركب الحضارة ، وقافلة الامان وانت تقول بملأ فيك ، لمثل هذا فليعمل العاملون ، وانا الى ربنا منقلبون .

وهذه بعض شهادات الباحثين الغربيين فى آيات الله من كتابه المستبين ، والفضل ما شهدت به الاعداء ، قال الدكتور غوستاف لوبون ، ـ ان التعاليم الاخلاقية التى جاء بها القرآن هى صفوت الآداب ، وخلاصة المبادىء الخلقية الكريمة ، ـ وقال سيدو المؤرخ الفرنسي الشهير ـ ما فرط القرآن فى شيء من تلك الآداب التى قوامها الحكمة ، واساسها العدل والاحسان ، وغايتها قصد سبيل الحق ، والصد عن محجة الضلالة ، والخروج من ظلمات الرذائل ، والتطهر من شهوات النقص ، والتحلي بزينة الكمال ، وان هذا لدليل على تقديس غايته الاسلامية الشريفة من حرمة مذهبها ، ورفعة حكمها ـ وقالت ايفلين الكاتبة الانجليزية المعروفة ، ـ ان من طرافة الاسلام هو السلام الذى امر به القرآن فقال [واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها او ردوها ـ(١٣٤) الا ترى الى هذا الاغراق فى الاسلام ، يود الواحد من المؤمنين ان يفوز على رفيقه فى القيام بهذا الواجب ، فهذا الكبير وهذا الصغير ، وهذا الحر ، وهذا العبد كل يسلم على الآخر بمثل الحرارة التى يسلم بها الرفيع على مثله ،

---

(١٣٤) النساء : آية ٤٥

والشريف على نده ،ـ

هذه فقرات ثلاث مما قال دعاة الغربيين ومثلها معها بل تزيد اكثر فاكثر فى كتبهم ومقالاتهم وتصريحاتهم المدونة فى سجل المنصفين ، واما الشرقيون فقد الفوا الكتب الطوال فى القرآن وآياته ، وما تدعو اليه ، وتدل عليه ، من اولئك الذين اطلعوا على ما فى هذه الآيات من خير للانسانية عميم ، ونفع للبشرية عظيم ، لو اعتصم الناس به لاغناهم عن كل ما يتشبثون به من نظم لا تغنى عن الحق شيئا ، ولانقذهم من حيرتهم التى كلما توغلوا فيها زادتهم حيرة على حيرتهم وهم متحيرون ، ولكشفت عنهم ما يشكون منه اليوم ، ويخافون من طلائعه المدلهمة الحالكة فى الغد القريب أو البعيد ، ولطهرت ارضهم وديارهم من رجس الذين استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله ، اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون .

فالى الاستماع الى آيات الرحمن والعمل بها ندعوكم ايها الواعون المتنبهون بدعاية الحق الذى هو احق ان يتبع ، لتكونوا بحق من المؤمنين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا على ربهم يتوكلون .

* * *



في أمانيهم

والذين يقولونَ ربنا هَبْ لنا مِن ازواجِنا وذرياتِنا قرتَ اعينٍ ، واجعلنا للمتقين إماما ٠

الفرقان

هذه الصفة الحادية عشرة فى عباد الرحمن الصالحين ، ان يقولوا بملء فيهم ، ومن اعماق قلوبهم ، ربنا هب لنا من ـ جميع ـ ازواجنا ـ ومن هنا للبيان لا للتبعيض لدلالة السياق عليه ، [و] من جميع ـ ذرياتنا ـ السابقين واللاحقين ، ـ قرة اعين ـ كناية عن الفرح والسرور فانهما اذا هجما على انسان بكى بدمع بارد ، قال الشاعر :

هجم السرور عليَّ حتى انه مِن عُظمِ ما قد سرَّ في ابكاني

والقُرة مأخوذة من القر وهو البرد ، وذلك لان دمعة السرور باردة فى عرفهم كما ان دمعة الحزن ساخنة ، لذا قالوا عند الدعاء على احد، اسخن الله عينه ، اى احزنه وجعله يبكي بدمع ساخن ، وقالوا عند ارادة الدعاء له ، اقر الله عينه ، اى افرحه وجعله يبكي بدمع بارد ، من شـدة الفرح ، وعلى هذين التفسيرين قول ابي تمام :

واما عيونُ العاشقين فاسنختْ وأما عيونُ الشامتين فقرتِ

وبكاء العين في حالتي الحزن والفرح كان معروفا عند الاقدمين على ما اسلفنا القول ، واما اذا اشتد الحزن جمدت العين وشحت بالدموع وعلى هذا قول الخنساء الشاعرة الصحابية :

اعينيَّ جـودا ولا تجمـدا الا تبكيـان لصخر النـدى

★ ★ ★

ألاَ : ان عيناً لم تجدْ يوم واسطٍ عليك بجـاري دمعهـا لجمودُ

وقد جاء التعبير بهذه الصفة كناية عن الفرح والسرور في تسع آيات بينات ، قال تعالى حكاية عن قول امرأة فرعون دفاعا عن موسى عليه السلام ـ وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقبله عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ـ[١٣٥] وقال سبحانه فيما اعد لاولئك الذين تتجافى وتتباعد جنوبهم عن مضاجع النوم ، يدعون ربهم خوفا من غضبه ، وطمعا في رضاه ورحمته ، ومما رزقهم من مال او علم او اى شيء آخر فيه منافع للناس ينفقون ـ فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ـ[١٣٦] وقال عز وجل معددا نعمه على موسى عليه السلام ـ فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن ـ[١٣٧] وقال عز سلطانه لمريم عليها السلام لما ادركها المخاض الى جذع النخلة فوضعت ولدها عيسى عليه السلام وهي وحيدة فريدة خائفة وجلة مما عسى ان يقول الناس فيها ـ فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا ـ[١٣٨] وقال تعالى في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن ـ ذلك ادنى ان تقر اعينهن فلا يحزن ويرضين بما

---

(١٣٥) القصص : ٢٨ آية ٩
(١٣٦) السجدة : ٣٢ آية ١٧
(١٣٧) طه : ٢٠ آية ٤٠
(١٣٨) مريم : ١٩ آية ٢٦

آيتهن كلهن ، والله يعلم ما فى قلوبكم ، وكان الله عليما حكيما ـ[139] .

هذا : ودعاء عباد الرحمن بان يسبروا من اعمال ازواجهم وذرياتهم الصالحة لدينهم ودنياهم ، ويفرحوا بما يقومون به من النفع العام الشامل لما فيه من منافع للداعين كثيرة مستمرة الى يوم يلقون ربهم باعمالهم لقوله صلوات الله وسلامه عليه ـ اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث ، صدقة جارية ، او علم ينتفع به ، او ولد صالح يدعو له ـ رواه البخارى فى الادب ومسلم وابن ماجة ، فالولد الصالح من ذكر او انثى قرة عين ابيه وامه حيث به بقاء عملهما فى تزايد وتكاثر مانفحهما بدعوة صالحة ، وهو بهذا من اكبر نعم الله على الابوين وقالوا :

نعم الالـه على العباد كثيرة واجلهـن نجابة الاولاد

واما الزوجة الصالحة التي تعرف مالها وما عليها من حقوق الحياة الزوجيةالناجحة فى زوجيتها من ادارة البيت وتربية الاولاد ، واصلاح ما هو منوط بها ، ومعول فى صلاحه عليها ، اذ بها سعادة الاسرة ، وعليها فلاحها فى الحياة ، بل وسعادة وفلاح المجتمع الذى تعيش وسطه ، والبلاد التي تحيا فوق تربتها ، لذا خصت هـذه الزوجة الصالحة من بين النسـاء الآخريات اللاتي لا يعرفن من الحياة الزوجية الا انهن زوجات فقط ، بالكرامة يوم الدين حيث يقول سبحانه (جنات عدن يدخلـونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهـم)[140] ويقول حكاية عن قول ملائكته المقربـين ، ـ ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم ـ[141] وقالوا

الأمُ مدرسةٌ اذا اصلحتها أعددت شعبا طيب الاعـراق

والسنة النبوية ملئت صفحات دعوتها بالثناء على المرأة الصالحـة منها

---

(١٣٩) الاحزاب : ٢٣ آية ٥١ .
(١٤٠) الرعد : ١٣ آية ٢٣
(١٤١) غافر : ٤٠ آية ٨

قولـــه صلوات الله وســلامه عليه ـ من رزقه الله امــرأة صالحة فقــد اعانه على شطر دينـــه فليتق الله فى الشطر الباقـــي ـ رواه الحـــاكم وقال حديث صحيح ، ـ مااستفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً لــه من زوجة صالحة ، ان امرها اطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وان اقسم عليها ابرته ، وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله ـ رواه ابن ماجه عن ابي امامة ورمز له بالحسن وقالوا :

ألا : ان النساءَ خُلقنَ شتـى   فمنهن الغريمــةُ والغَــرامُ
وَمنهن الهــلالُ اذا تبـــدا   لصاحِبِـه ومنهـــن الظـلامُ
فمن يظفرْ بذاتِ الدينِ يَظفرْ   وَمَنْ يغبنْ فليس له انتظــامُ

وحكي بعد هذا سبحانه قولهم ـ واجعلنا للمتقين ـ الذين يتقون عقاب الله بطاعتهم له ، ـ اماما ـ أئمة يقتدون بهم فيما يتقدمونهم به من عمل صالح، وقول صادق ، يوصلهم الى سعادة الدارين ، ويهديهم الى صراط مستقيم ، أئمة لانه اوفق بالفواصل السابقة واللاحقة ، ومفهوم هذا الطلب يدل على ان طلب الرآسة فى الدين لصلاح الناس ، واصلاحهم ، وهذا مرغب فيه ، ومدعو له ، حيث طلبها النبويون لذرياتهم لما فيها من الشرف العظيم ، والخير العميم ، قال سبحانه (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمـــات فاتمهن قال : اني جاعلك للناس إماما ، قال : ومن ذريتي ، قال : لاينال عهدى الظالمين) [١٤٢]

هذا : وقد يطلق لفظ الأمام فى القرآن ويراد به ـ اللوح المحفوظ ـ قال تعالى ـ انا احصيناه فى إمام مبين [١٤٣] اى فى كتاب واضح قالوا هو اللوح المحفـوظ ويطلق ويراد به الطـريق ، قال تعالى ـ وانهمـا لبأمـام مبين [١٤٤] ـ اى طريق واضح ظاهر ، ويطلق ويراد به من دعا الناس الى

---

(١٤٢) البقرة : ٢ آية ١٢٤
(١٤٣) يسن : ٣٦ آية ١٢
(١٤٤) الحجر : ١٥ آية ٧٩

اتباع نهجه وسبيله او من تزعمهم فى امر انتحله لنفسه قال تعالى ـ يوم ندعو كل اناس بامامهم ـ اى بقائدهم وزعيمهم ، وقيل بكتابهم الذى فيه اعمالهم ، والآية تحتمله لما بعدها من قوله عز وجل ـ **فمن اوتي كتابه بيمينه،** فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا ـ [١٤٥] .

والاصل فى الامام والأئمة ان يكونوا قادة خير ، ودعاة حق، وبغاة اصلاح، لذا سمي من ترأس زعامة المسلمين وامارتهم فى امر دينهم ودنياهم ـ إماما ـ وكذلك من تقدم عليهم وامهم فى الصلاة قال تعالى ـ وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا ، واوحينا اليهم فعل الخيرات ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ـ [١٤٦] اى خاضعين لأوامرنا ، عاملين بها ، وحاكمين عليها ، والقينا عليهم ان يفعلوا الخيرات ويشيعوا المبرات ، مع اقام الصلاة فى الناس وايتاء الزكاة للمستحقين ، وقد يطلق هذا اللفظ على زعماء الباطل وشياطين الضلال والبطلان ، قال تعالى ـ فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون ـ [١٤٧] وقال سبحانه ـ وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ، ويوم القيامة لا ينصـرون ، واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) [١٤٨] اللهم ارزقنا أئمة صالحين يقودونا الى سبيلك القـويم وصراطك المستقيم ، واصرف عنا أئمة الضلال المضلين ، وهيء لنا من امرنا رشـــدا ، .

★ ★ ★

---

(١٤٥) الاسراء : ١٧ آية ٧١
(١٤٦) الانبياء : ٢١ آية ٧٣
(١٤٧) التوبة : ٩ آية ١٢
(١٤٨) القصص : ٢٨ آية ٤١



في مصيرهم

أولئك يجزون الغرفة بما صبروا
ويُلقون فيها تحية وسلاما ، خالدين
فيها حَسُنتْ مستقراً ومُقاما .

الفرقان

تلك صفات عباد الرحمن الاحدى عشرة صفة ، مرت علينا مؤيدة باخواتها من الآيات القرآنية ، ومعضدة بالاحاديث النبوية ، ومصحوبة باقوال رجالات الصلاح والاصلاح ونسائه ، وآثار السابقين الاولين الذين ذاقوا فعرفوا ، وما استطعنا بيانه مما ظهر لنا من منطوقها ومفهومها ، وهذه الآية الختامية التى روّت مصير الذين اعتصموا بحبل هذه الصفات ، ونهجوا سبيلها فى ادوار حياتهم الروحية والمادية فاستحقوا هذا المصير السعيد الذى يتمناه كل عبد منيب ، حيث قال سبحانه ـ اولئك ـ الذين اتصفوا بتلك الصفات المتقدمة ، وطلبوا من الله تعالى ان يهب لهم من ازواجهم وذرياتهم ما يُسرون به ويفرحون من اعمال البر ، وافعال الخير ، والاتصاف بما اتصفوا به ، ليكونوا قرة عين لهم ، وان يجعلهم أئمة للمتقين الذين يخافون الله ، ويرجون رحمته ، ليسيروا بهم نحو الطريق الواضح والصراط المستقيم ، اولئك

ـ يجزون الغرفة ـ وهي الدرجة العالية من المنازل ، وكل بناء مرتفع عالٍ يسمى غرفة والمراد هنا الدرجة العالية ، والمقام الرفيع ، في الجنة التي وعد المتقون .

وقد جاءت مجموعة في القرآن الكريم بما تدل عليه الآية المتقدمة في ثلاث آيات بينات ، قال تعالى [لكن الذين اتقوا ربهم لهم غُرف من فوقها غُرف مبنية تجري من تحتها الانهار ، وعد الله لا يخلف الله الميعاد ـ(١٤٩)، ـ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غُرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، نعم اجر العاملين ، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ـ(١٥٠) ،] .

اظهرت هاتان الآيتان حقيقة ما يحلهم في هذه الغرف العالية الخالدة النعيم ، والباقية الهناء في كل حين ، لينتبه الذين يجرون وراء المادة الفانية، ويتركون وراءهم ظهريا ما يحقق لهم الاماني الصالحة في دينهم ودنياهم ، ويبقى ذكرهم حيا خالدا في صفحات التاريخ وألسنة الاجيال التي تأتي من بعدهم ما دامت الارض ومن عليهم ، ويوم القيامة هم من المكرمين في قوله عز وجل ـ وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ، الا من امن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم في الغرفات آمنوان ـ(١٥١) .

فهؤلاء يجزون الغرفة بحق ـ بما صبروا ـ على ما اصيبوا في سبيل ما امرهم الله به ، ونهاهم عنه ، جزاءً وفاقا ، والصبر الذي هو تحمل المشاق والآلام بلا شكوى ولا ضجر في سبيل المضيّ على درب الجهاد النفسي،

---

(١٤٩) الزمر : ٣٩ آية ٢٠
(١٥٠) العنكبوت : ٢٩ آية ٥٨ـ٥٩
(١٥١) سبأ : ٣٤ آية ٣٧

ومقارعة الضلال واهله ، والذود عن الحق الذى ما بعده الا الضـــلال ، تحقيقاالغايته المثلى ،ومقاصده العليا، جاءفى أكثر من(١٠٣)مائةوثلاث آيات من آيات كتاب الله ، منها خطابه تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم [ـ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ـ ،[١٥٢] ـ وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ـ[١٥٣] ، ـ فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرســـل ـ [١٥٤] ، ـ واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون[١٥٥] ـ] ليستأنس به الذين يرجون لقاء الله ويقتدون به فى الصبر على المكاره وهم يقولون :

لأستسهلن الصـــعب أو ادركَ المنـــى

فما انقادتِ الآمـــال الاّ لصـــابر

ومنها خطابه سبحانه لجميع المؤمنين تعليما لهم وتثبتا وتبيانا لنتائـــج الصبر المحمودة العقبى حيث قال تعالى [ـ يا ايها الذين آمـــوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، ـ[١٥٦] ، ـ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين[١٥٧] ، ـ وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ـ[١٥٨]] .

ومنها ما قصه الله على الناس من وصايا المقربين لديه ، وصبرهـــم للعبرة والاتعاظ فى قوله عز وجل حكاية عن قول لقمان لأبنه وهو يعظه

---

(١٥٢) المزمل : ٧٣ آية ١٠
(١٥٣) طه : ٢٠/٣٤١٣٢
(١٥٤) الاحقاف : ٤٦ آية
(١٥٥) النحل : ١٦ آية ١٢٨
(١٥٦) آل عمران : ٣ آية ٢٠٠
(١٥٧) البقرة : ٢ آية ١٥٣
(١٥٨) آل عمران : ٣ آية ١٢٠

ـ يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ، ان ذلك من عزم الامور ـ[159] وحكاية قول موسى عليه السلام لقومه ـ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ، ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ـ[160] .

واختتم حقيقة البر والاحسان بالصبر لتوقف دوامها عليه فى كثير من الحالات ، لان البار المحسن اذا لم يصبر على كفاح وسوسة الجنة والناس لم يستطع البقاء على احسانه وبره ، وكذلك صبره على المكاره التى نعتور جهوده المعاشية والنضالية ، حيث قال تعالى [الذين صدقوا ، واولئك هم المتقون ـ[161] .

ويقص سبحانه حكاية قول رجالات العلم العاملين لاولئك الذين تمنوا ان يكون لهم مالقارون من الاموال الكثيرة ، والغنى العظيم ، الذى جره الى التطاول على نبي الله وكليمه موسى عليه السلام فكانت عاقبة أمره خسرا ، حيث قال سبحانه ـ قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ، انه لذ وحظ عظيم ، وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، و لايلقها الا الصابرون ، فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين ـ[162]

ومن قرأ قوله تعالى المبين جزاء المستقيمين على توحيده والاعتصام بحبله ، الذين يدرؤن العداء بالأخاء ، والضغينة بالمحبة والولاء ، اذا ما اساء اليهم مسيء ليكونوا خيرا منه ، وافضل بالعفو الذى هو اقرب للتقوى حيث

---

(١٥٩) لقمان : ٣١ آية ١٧
(١٦٠) الاعراف : ٧ آية ١٢٨
(١٦١) البقرة : ٢ آية ١٧٧
(١٦٢) القصص : ٢٨ آية ٨٠ـ٨١

يقول تعالى ـ وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ـ[163] .

تبين له مكانة الصبر ومنزلته في الاسلام الذي يوصي رسوله صلوات الله وسلامه عليه، ابن عمه عبدالله بن العباس رضي الله عنه وهي وصية لكل مؤمن ومؤمنة بقوله الذي رواه البخاري ـ ان استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل ، وان لم تستطع فاصبر ، فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، واعلم ان النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسرا ـ، ولم يقف عند هذه الوصية بل اعلن عن كنه الصبر وحقيقته في واقع الحال والمآل ، اذا اراد الانسان ان يبقى في حياة الصبر التي مآلها السعادة والفلاح والنجاة من التدهور في مهاوي الجزع الذي يؤول الى الشقاء والاندحار على ما يظهر مما رواه الامام على رضوان الله عليه ـ الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ـ وما أحسن ما قالته فتاة اعرابية :

أيّها الانسان صبرا　　اِنّ بعدَ العسر يسرا

كم رأينا اليومَ حراً　　لم يكنْ بالأمس حراً

مَلَكَ الصبرَ فاضحى　　مالكاً خيراً وَشراً

إشربِ الصبرَ وان　　كان من الصبر امرّا

* * *

ـ ويلقون فيها ـ في الجنة التي وُعدوا بها ـ تحيةً ـ بالتكريم والتبجيل ممن يمرون بهم من المقربين ـ وسلاما ـ امانا من كل ما كانوا يحذرون منه في الدنيا ويخافونه في الآخرة ، والسلام في اللغة الامان فمن

---

(163) فصلت : 41 آية 35

سلم على أحد فقد اعلن الامان على نفسه وماله وولده وهو تحية المؤمنين والمؤمنات الذين علمهم الله كيف يحيّي بعضهم بعضا للتعارف والتحابب والتعاضد ، اظهارا للود الصادق، والحب المقيم ، واداءً لحق الاخوة الايمانية التى فرضت على المعتصمين بحبل الصدق فى القول ، والاخلاص في العمل ، والنية الحسنة ، والقصد الشريف ، ليكونوا اخوةً بحق يعبرون بالسنتهم عما فى قلوبهم ، على قاعدة ، اذا امتلأ القلب فاض على اللسان .

لهذا ارشد سبحانه الى الرد الحسن حيث قال ـ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ، ان الله كان على كل شيء حسيبا ـ (١٦٤) وفى قوله صلوات الله وسلامه عليه ـ لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم ـ رواه مسلم ، تعريف لمكانة السلام فى الاسلام الذى بنى دخل الجنة على الايمان ، والايمان على التحابب والتحابب على السلام الذى ترمز اليه التحية التى أمرنا بافشاءها اينما كنا ، وحيثما حللنا ، وجعل بر الحج الذى هو احد اركان الاسلام بالسلام فى قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى ومسلم لما سئل عن افضل الاعمال ، قال ايمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا : قال جهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا : قال حج مبرور ، وفى رواية الامام احمد والحاكم من حديث جابر قالوا وما بر الحج يا رسول الله : قال : اطعام الطعام وافشاء السلام ، وفى البخارى ومسلم انه صلى الله عليه وسلم سئل اى الاسلام خير ، فقال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ـ

وفى الهدي النبوى الكثير من الدعوة الى افشاء السلام الذى يشرأب اليوم ـ ابناء العالم باعناقهم متطلعين الى انواره التى حجبها ظلام التكالب على

---

(١٦٤) النساء : ٤ آية ٨٦

الحطام الزائل ، والخلاف على تركته الزائفة ، والنزاع على مورده البائد ، ودعاة السلم والسلام ينادون بلسان صادق سليم من هنا السلام ايها الغارقون فى خضم الضلال والتضليل ، والتائهون فى بيداء الاوهام والشكوك ، تعالوا الى الحياة السعيدة ، حياة السلام والسلامة ـ خالدين فيها ـ باقين على حياة دائمة ، ونعيم مقيم ، فى جنة النعيم ـ حسنت ـ هذه الغرفة العالية المقام ـ مستقرا ـ لمن فيها ـ ومقاما ـ طيبا حسنا محفوفا بما تشتهيه الانفس ، وتلذ الاعين ، وهم فيها خالدون ، لا يمسهم فيها نصب ، ولا يمسهم فيها لغوب .

* * *

الخـــاتمة

هذه هي العبادة وتوابعها اختصرنا معناها ، واوجزنا مفهومها فيما هو محسوس مشاهد فى هذه الحياة من النعم التى انعم الله بها على عباده ، واودع فيها ما يدل على عظمته ، وحكمته ، وسلطانه ، وانه هو الخالــق البارىء المصور ، وانه هو الحي القيوم وانه على كل شيء قدير ، يضاف الى هذا ما اودع فى الانسان نفسه من الملكات التى استطاع بها ان يكتشف المكنونات الكونية وان يخترق الاجواء العلوية ، ويخترع السائرات علــى اليابسة ، والماخرات مياه البحار ، والسابحات فى الاجواء الفضائية ، مما اطلع عليه الناس وعرفوه ومما هو فى طريق المعرفة ، ومما هو فى طي الكتمـان لا يعلمه الا الانسان الذى علمه الله ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليــه عظيمـــا .

وبعد هذا كله دعاه الى الاتصاف بالاخلاق الفاضلة ودعاه الى التخلق بها ، والقيام عليها ، ونهاه عما يسلبه نعمة البقاء ، ويجرده عن حياة الصفاء ، ويتركه فى وديان الاوهام ، ومهاوى الاندحار ، وهو من الخاسرين ، حتى اذا ما اتصف بتلك وانصرف عن هذه ، كان من عباد الرحمن الذين ابتعدوا عن الرذائل ، واعتصموا بالفضائل ، واذا ما خاطبهم الجاهلون قالوا سـلاما ، واقاموا الصلاة التى تجمعهم بعد الشتات ، وهم يدعون ربهم بالغدو والآصال، ان يصرف عنهم عذاب جهنم الملازم لمن يقع عليه ، ويصير اليه ، ومع هذا فهم مقتصدون فى انفاقهم غير مسرفين ولا مقترين ، تنفيذا لوصايا الله التى وصاهم بها ، ودلهم عليها ، موحدون مبتعدون عن جريمة القتل واهــراق الدماء البريئة ، وازهاق النفوس الكريمة ، ولم يقترفوا جرائم الزنا ، ويعتدوا

على اعراض الناس ، لعلمهم ان من يفعل ذلك الذى نهوا عنه ، ومنعـوا منه يلق اثما بعد اثم ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا محتقرا ، حتى اذا تاب عما سولت له نفسه الامارة ، ورجع الى ما امره ربه سامعـا طائعا مذعنا ، قبلت توبته ، وغفر ذنبه ، وهو من المفلحين الذين لم يشهدوا الزور الذى يطمس الحقوق ،ويظهر العقوق ، واذا مروا باللغو الذى لافائدة منه مروا كراما لا يلتفتون اليه ، ولا يعكفون عليه ، وآيات الله تذكرهـم فيصغون اليها سامعين مطيعين ، يدعون ربهم ان يهب لهم من ازواجهـم المؤمنات ، وذرياتهم الصالحين ما يدخل السرور عليهم فتفيض أعينهم بالدمع فرحا بهم وشكرا لربهم لهذا الربح العظيم والفوز العميم ، ولم يكتفوا بما مُنحوا بل طلبوا ان يكونوا أئمة للمتقين يتقدمونهم فى المجالات الانسانية النبيلة ، والاعمال الصالحة المفيدة ، اولئك الذين اتصفوا بهذا وساروا عليه، وَدعَوا اليه ،يجزون الغرفة المعدة لهم بصبرهم على الطاعة والقيام بها ، والدعوة اليها ، لنيل سعادة الدارين مع تحية الاكرام ، ونعمة السلام خالدين فيها ابدا حسنت هذه الحياة الكريمة مستقرا لهم ومقاما لا يصدفون عنها ولا ينزفون ، وهذا ما يتمناه كل واعٍ فى الحياة وعـارف مصائرها ، وفاهم مصائبها ، ومبصر مراحلها وما فيها من مصاعب ومتاعب يذللها الصبر ، ويزيلها الايمان ، انها مراحل تمر باحداثها الشريرة والخيرة وباهلهـا المسيئين والمحسنين ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويمحص الذين آمنوا ويمحـق الكافرين .

* * *

وَبَعدُ : فهذه مقدمة اوضحنا فيها معنى العبادة ومفهومها وما تفرع منهـا مصحوبة بصفـات عباد الرحمن الصالحين الذين اسـتجابوا لله وللرسول لما يحييهم ، فكانوا خير امة اخرجت للناس يأمـــرون

بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ايمانا دعاهم الى حمل هذه الرسالة النبوية ، والدعوة الالهية ، الى العالم الانساني فى جميع بقاع الارض يدعون اليها على بصيرة وعلم وفهم ، فهرع اليها الذين اجتباهم الله وهداهم الى صراط مستقيم ، دينا قيما ملة ابراهيم ، فسادوا الامم بحكمهم العادل ، وانصافهم الشـــامل ، وتوجيههم الكامل ، وهم فى دعوتهم مفلحون يقولون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

* * *

واليــــــوم

واليوم لما اضعنا هذا التراث الاعتقادى ، والنظام التوجيهي ، وملنا عنه الى اتباع من لم يزده ماله وولده الا خسارا ، جريا وراء المادة التى طغت على كل مقدورات الامة ومقوماتها ، فراح اكثرهم يهرول اليها من قريب او بعيد ، حتى اذا جاءها لم يجدها شيئا ، رجع يعض بنان الندم من خيبة الرجاء، يشرأب بعنقه الى من يأخذ بيده الى النجاة ، الى الخلاص ، الى ما كان ينعم فيه من عزٍ هدر ، ومجدٍ سلب ، وسلطانٍ قهر ، ووطن استعمره الذين قست قلوبهم فهى كالحجارة او اشد قسوة ، وان من الحجارة لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافلٍ عما يعملون ،

بهذا ابتليت الامة وبأمثاله وبما هو أمرُ وادهى منه ، لما خلف مــن بعد سلفها الصالح خلف اضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، فوقعوا فـــى حفر الغي وشباكه ، وتاهوا فى بيداء الضلال ومغاوزها وشياطين الانس يلوّحون لهم بما يبيتون من هلاك ودمار اذا لم ينصاعوا الى مقـــرراتهم ، ويسيروا على منهاجهم الذى لم تستقر مواده ، ولم تمكث بنوده ، ومــن

وراءهم شياطن الجن يوحون الى اولياءهم زخرف القول وزورا ، ويمنونهم بالامانى المعسولة الخلابة ، وما يمنيهم الشيطان الا غرورا •

ولا

ولا من نصرٍ لهذه الامة ، وخذلان لاعدائها ، ولا من ظفر ولا فتح الا اذا رجعت الى تعاليمها الاولى ، واخذت باسباب القوة المأمورة بها ، واعـــدت العَدد والعُدد ، مؤمنة بالله الذى بيده مقاليد كلل شىء ، وهو على كل شيء قدير ، تاركة وراءها الذين يقولون ما لا يفعلون ويظهرون ما لا يضمرون، ويخفون ما لا يعلنون ، مرتلة عن قناعة وايمان ـ ان تنصروا الله ينصركم ، ويثبت اقدامكم ، والذين كفروا فتعسا لهم ، واضل اعمالهم ، ذلك بانهـــم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم •

بغداد ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م

شاكر البدري

* * *

الفهرست

من آثار المؤلف

العدد	اسم المؤلف	ملاحظات
١	انها لذكرى	مطبوع : نفد
٢	الذكرى الخالدة	مطبوع : نفد
٣	تذكرة اليقظان	مطبوع : نفد
٤	الاسلام وعلل المجتمع	مطبوع : نفد
٥	دليل العابد	مطبوع : نفد
٦	ذكرى الاسراء	مطبوع
٧	عباد الرحمن	مطبوع : وهو هذا الكتاب
٨	مساجد بغداد	معد للطبع
٩	عواصم الخلافة	معد للطبع
١٠	مقدمة مقاصد القرآن	معد للطبع
١١	تفسير مقاصد القرآن	في طريقه الى الاعداد للطبع
١٢	صلاة الليل	معد للطبع
١٣	الصلاة وأسرارها	معد للطبع
١٤	الزكاة وأسرارها	معد للطبع
١٥	الصوم وأسراره	معد للطبع
١٦	الحج وأسراره	معد للطبع
١٧	مجلس الاسلام	معد للطبع
١٨	الدرر الحسان ، من وصايا القرآن	معد للطبع
١٩	الوصايا العشرة	معد للطبع
٢٠	وصية لقمان	معد للطبع
٢١	الايمان والكفر	معد للطبع
٢٢	بغداد دار السلام	معد للطبع
٢٣	من خطب الامام الاعظم	معد للطبع
٢٤	من خطب النكبة	معد للطبع
٢٥	من شعر النكبة	معد للطبع
٢٦	النظام الاجتماعي في الاسلام	معد للطبع
٢٧	ديوان البدري	معد للطبع
٢٨	الكلم الطيب	معد للطبع
٢٩	قواعد الحديث	معد للطبع
٣٠	مكتسبات علوم الآلة	معد للطبع

وغيرها مما سيطلع عليه الذين يستمعون القول فيتبعون حسنه .